ميراث الأحفاد

الحرية
للنشر والتوزيع
٢٦١٥٦٤٦
٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

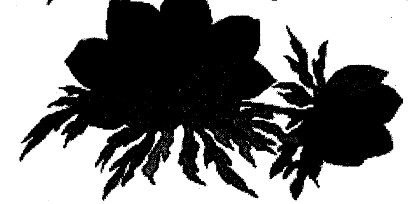
• روايات أحلامي سلسلة رومانسية

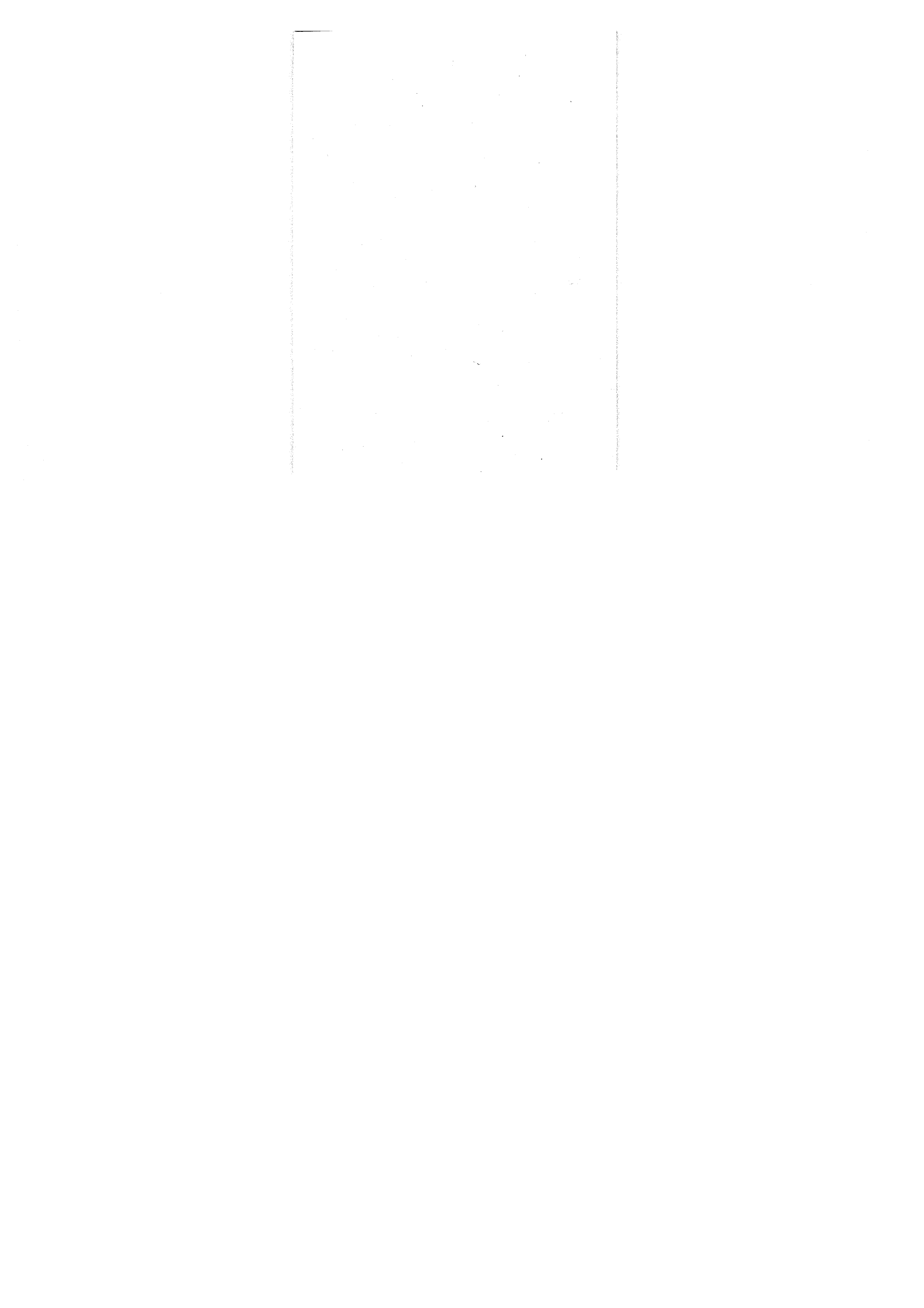
تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقـــدم...

«روايـــات أحلامـــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا
بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..
الحب حيث الورود والرياحين..
حيـث الحيـاة..
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب
والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»
فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»
على أمواج الرومانسية.





١ - اللقاء الأول

كانت ساعة مطار اشبيليا تشير دقاتها إلى الساعة الثانية عشر ظهراً وكان هذا هو موعد وصول الطائرة القادمة من انكلترا حاملة على متنها جينى وهى الفتاة التى أتمت لتوها عامها الحادى والعشرين وجينى فتاة انكليزية تتسم ملامحها بالبراءة والجمال، فقدت جينى والديها الواحدة تلو الآخر ثم بعد ذلك توفى جدها أنطونيو فرنسيس وكان جدها قد تزوج من امرأة أسبانية وأنجب منها ابنه رفائيل وكان يمتلك جدها مؤسسة فى أسبانيا تسمى مؤسسة فرنسيسكو وكانت تعتمد هذه المؤسسة على صناعة المصير.

كانت جينى تذور جدها فى أسبانيا على فترات متباعدة وذلك لارتباطها بالحياة الانكليزية وطابعها الذى تعودت عليه وأيضاً لارتباطها بالدراسة هناك.

وكان العم رفائيل متزوجاً من دونا صوفيا وهى امرأة أسبانية ذات طباع وملامح قاسية وأنجب منها ابناً أسماه على اسم والده انطونيو، وانطونيو يكبر جينى تقريباً بخمسة عشرة عام وقد أخذ من والدته ملامحها القاسية.

عندما توفى أنطونيو الجد كان من الطبيعى أن يرث المؤسسة رفائيل وابنه أنطونيو ولكن الجد قد أورث حصة من المؤسسة لجينى هذا أثار غضب دونا صوفيا وأنطونيو أما العم رفائيل فلم يبد رأى حول هذا الإرث. وعندما أتمت جينى عامها الحادى والعشرين تلقت دعوة من عمها رفائيل للعيش معه فى أسبانيا وقبلت جينى هذه الدعوة أولاً لأنه لم يتبقى لها من أقرباء والدها إلا عمها رفائيل وزوجته وابنه أنطونيو وثانياً حتى ترى ما أورثها جدها وتتابعه وتشارك فى إدارة المؤسسة.

كانت جينى خائفة من تلك الدعوة وذلك لأنها فى زيارتها الأخيرة منذ سبع سنوات كانت عمتها دونا صوفيا تعاملها باستياء حيث أن دونا صوفيا لم تحبها فقط وكانت تعتبر أنطونيو أيضاً قاسية.

وكانت جينى تتوقع فى هذه الزيارة أن تعاملها عمتها بقساوة وأكثر من قبل وذلك لأنها. ورثت حصة فى مؤسسة فرنسيسكو وهى حق من حقوق زوجها وابنه أنطونيو.

وكان ابن العم أنطونيو فى انتظارها بمطار اشبيليا وتوقعت جينى أن يقابلها بجفاوة وترحيب فى أول مواجهة بينهما منذ فترة طويلة. لكن أنطونيو على غير ما توقعت قابلها ببرود وكأنه مستاء ولحضورها أو هكذا تراءى لها من تصرفاته. وأخذها واتجها إلى السيارة لتبدأ رحلة الذهاب إلى المنزل بقيادة أنطونيو. ظل الجو ساكناً لفترة ليست بقصيرة منذ ركوبها السيارة فسألته:

«أنت مستاء بقدومى يا أنطونيو. أليس كذلك؟».

وأدركت أنه فوجئ بسؤالها إذ نظر إليها نظرة حادة ثم رفع حاجبه الأسود فأحست فجأة بضآلتها وضعفها على رغم انزعاجها لقلة حفاوته.

وسألها بانكليزية طلقة متكلفة بعض الشئ:

«كيف تبنين افتراضك هذا؟».

ولاحظت أنه لم يبتسم أثناء كلامه مما دل على أنه حمل سؤالها على محمل الجد:

وقالت مبتسمة ابتسامة طفيفة:

«لأنك لم تكلمينى إلا قليلاً منذ أن غادرنا اشبيليا».

وتذكرت أن الأسبان قوم لا يتهاونون مع من يتهمهم بسوء الضيافة وقال لها بصوت بارد عميق.

«كنت أفكر فى زيارتك الأخيرة لنا. لم تسألى أحداً أن يحادثك وقتذاك بل التزمت الصمت طوال فترة زيارتك».

وانزعجت جينى لملاحظته هذه فرفعت خصلة من شعرها الأحمر عن جبينها ثم رمقته معاتبة. فهى فعلاً لم تكثر الكلام فى أثناء زيارتها الأخيرة وكانت لها أسبابها وقتذاك، ومن بينها أنها كانت تحس بالرهبة فى حضوره وحضور دونا صوفيا التى لم تكن تحبها.

واحتجت على كلامه قائلة:

«انصفنى يا أنطونيو. لم أكن سوى طالبة فى المدرسة آنذاك وأنت...».

وامتنعت عن الافصاح بأن لسانها كان ينعقد فى حضورة. وأيقنت أنه كان يقرأ أفكارها إذ رأته يبتسم، ثم رفع حاجبه من جديد وقال:

«هل تعنين أنك كنت تخافين منى؟».

وبدا وكأنه سر للفكرة وأيقنت جينى أنها محقة تماماً فى اعتباره قاسياً وقالت محتجة:

«لم أكن خائفة فعلاً. إنما كنت صغيرة السن».

والتفتت عيناه الداكنتان نحوها وخيل إليها أنها رأت ابتسامة على ثغره. وتفحصها من أعلى رأسها المكلل بالشعر الأحمر إلى فتحة قميصها فارتعشت لفجائية نظرته هذه. وقال:

«لكنك مازلت صغيرة السن».

فقالت له بصوت حاولت تخمينه ما استطاعت من الثقة:

«بلغت السن الكافية لا أستطيع أن أتدبر شؤونى بنفسى ولاسيما فى ما يتعلق بحقى من المؤسسة».

صعب عليها الظهور بمظهر الواثق من نفسه فى حضرة رجل كأنطونيو وأدركت أنها ستلاقى صعوبات جمة فى محاولتها الاتكال على ذاتها كما كانت قد ظنت. وتراءت لها الأيام المقبلة مليئة بالتصادمات بينها وبين الطرف الأسبانى من عائلتها وكادت أن تتمنى للحظة لو أن جدها أورث المؤسسة برمتها إلى أنطونيو وولده. لكن الآوان فات الآن للتراجع وبات عليها مواجهة المستقبل

بما تملكه من قدرة وسألها أنطونيو:

«هل أنت عازمة على المشاركة فى إدارة المؤسسة مشاركة فعلية».

وبدا كأنه مرتاب للفكرة بحد ذاتها. فرمقت جانب وجهه القاسى والغاضب وأدركت أنه من الصعب جداً على رجل أسبانى أن يتقبل فكرة مشاركة امرأة فى إدارة مؤسسة وقالت:

«أود المحاولة».

وفى رحلتها إلى المنزل مرت جينى على مدينة جيريزدو لافرونتيدا وهى مدينة مزدهرة وجميلة وكانت جينى تتذكرها من زيارتها الأخيرة لأسبانيا ووعدت نفسها بالمجئ لزيارة بعض معابدها القديمة والجميلة.

ولم تستطع جينى الاحتفاظ بحماستها لنفسها فتأوهت:

«آه... ما أكثر الأشياء التى أريد رؤيتها».

والتفت أنطونيو ونظر إليها ثم ابتسم ابتسامة طفيفة وكأنه سر للفكرة وسألها:

«هل تريدين التنزه؟».

فأومأت إيجاباً، وقررت ألا تدع أنطونيو أو غيره يثنيها عن عزيمتها فقالت:

«أود رؤية معالم البلد هذه المرة. هناك الكثير من الأمور أريد رؤيتها».

«لم أعرف أنك جئت لقضاء عطلة».

وأدارت جينى رأسها بحركة تحد وقالت:

«كلا لم آت لتمضية عطلة لكنى متأكدة من إيجاد الوقت الكافى لمشاهدة ما أريد من دون أن تتخذ زيارتى طابع الأجازة».

ونظرت محدداً إلى جانب وجهه القاسى وشعرت برغبة طفولية جامحة فى معاكسته وأضافت:

«لن أزعجك. فباستطاعتى المجئ بمفردى».

«بالطبع لا. لن تأتى بمفردك».

توقعت جوابه لكنها أحست بلذة غريبة للاصرار الذى أبداه فقالت:

«ولم لا؟ إنى قادرة على الاهتمام بنفسى على أكمل وجه».

فقال لها بصوت لم يخل من السخرية:

«إذ كنت تبغين لعب دور السائحة فسأتأكد من أنك برفقة مناسبة».

وشعرت مجدداً وبقوة أكبر من قبل باحساس اللذة ذاته لاصراره.

ورمقته ثم سألت:

«هل ستوافقنى أنت؟».

«هذا جائز ويتوقف على عدد من الأمور».

«هكذا أذن؟».

وولدت تصرفاته انزعاجاً فى نفس جينى لكنها امتنعت عن متابعة الخوض فى الموضوع. وأدركت جينى أنهما أوشكا على الوصول إلى قصر دى لوس فرنسيسكو حيث بداية مشاكلها الحقيقية. وتراءى المنزل لها بجماله وكان ذائباً فى الشمس ولم يتغير المنزل عليها حتى خيل إليها للحظة أن جدها سيكون واقفاً فى انتظارها كما فعل فى زيارتها الأخيرة.

لكنها كانت تعرف أنه توفى ولم يبقى سوى عمها رفائيل وزوجته صوفيا إضافة إلى أنطونيو. وبذهاب العجوز فقد المنزل آخر ميزاته الانكليزية واستعاد طابعه الأسبانى المجرد. تراءت لها نوافذ الشرف المقنطرة وكأنها عيون واسعة وداكنة وسط وجه مذهبا للورود المتسلقة.

نزل أنطونيو من السيارة وأتى نحوها يساعدها على النزول وأمسك مرفقها بيده القوية، إزداد قلقها لاقتراب موعد لقائها بالعائلة. وذعرت جينى لفكرة مقابلة دونا صوفيا مجدداً وتمنت لو يوجد شخص بجانبها تطمئن إليه أكثر من أنطونيو.

بدت لها عطور الباحة وأصواتها أكثر رومنطيقية من قبل. وفوجئت حين أحست أن مرافقها كان أيضاً أكثر رومنطيقية وحبست جينى انفاسها وهى تمشى إلى جانبه وسط الباحة الظليلة بنوافيرها وأحواضها وأريجها المثقل بالعطور كأنه يداً خفية نقلتها فجأة إلى عالم ألف ليلة وليلة.

وزادت النبرة الفاتحة اللون التى كان يلبسها أنطونيو من طول قامته وبدا رأسه المتغطرس والداكن كأنه من نسج الخيال. اعترفت فى قرارة ذاتها أنه لو لم يكن هو أنطونيو بالذات لكانت سحرت به.

وخرجت امرأة من المنزل وأسرعت فى اتجاههما ثم ألقت نظرة خاطفة على جينى قبل أن تلتفت نحو أنطونيو وتعتذر منه بالأسبانية عن تأخرها فى ملاقاتها لهما. أعطاها أنطونيو بعض التعليقات حول ما يجب أن تفعله بحقائب جينى ثم أدخل جينى المنزل. وقادها أنطونيو إلى البهو وهو عبارة عن غرفة فسيحة باردة الجو اكتست أرضها بالبسط الثمينة وتدلت من سقفها ثريا من الحديد المليف وكانت نوافذها مشرعة ليدخل أريج الحدائق واهوائها.

وعندما فتح أنطونيو الباب أحست جينى بخفقات قلبها تتسارع على رغم هدوء الغرفة وجمالها. نهض عمها بسرعة وعبر الغرفة فى اتجاههما ماداً لها يده مرحباً وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة فأغمضت جينى عينيها وقد غمرتها الراحة لحفاوته، فهد وجدت أخيراً من يرحب بها بابتسامة حقيقية أعادت لها بعض الثقة. وقال لها بصوت ناعم:

«خوانيتا». وغمرها بحنان.

كانت جينى قد نسيت اللفظ الأسبانى لاسمها لكنها قبلته على وجنتيه شاكرة له حفاوته وابتسمت لأول مرة منذ هبوطها أرض أسبانيا.

وسألها رفائيل بقلق:

«هل استمتعت برحلتك».

وعادت جينى بأفكارها إلى الواقع لكنها أدركت أنه توقع أن يجيبه أنطونيو عن سؤاله فابتسم أنطونيو ورمق جينى وكأنه يسألها رأيها ثم قال:

«كانت الرحلة هادئة تماماً».

وضحك رفائيل ثم قال:

«لم تعتادى مناخنا بعد يا خوا.. كلا سأناديك جينى».

وأمسك بيديها ثم نظر إليها لحظة وكأنه يحاول إدراك أمر ما، ثم استطرده بصوت هادئ.

«أنك تذكرينى بوالدتك أيتها الطفلة. ولقد أصبحت امرأة شابة فى غاية الحسن».

«شكراً يا عمى رفائيل».

سرها مديحة لكنها لم تستطع أن تفهم لماذا أرمقت أنطونيو هذه اللحظة بالذات.

وأمسك رفائيل بذراعها وقادها إلى حيث جلست دونا صوفيا وقد بانت عليها علامات الاستياء والقساوة كما توقعت جينى. فعاود قلبها الخفقان بتوتر. وخاطب رفائيل زوجته قائلاً:

«عزيزتى صوفيا أنظرى كيف أن جينى أصبحت حسناء جميلة منذ رأيناها لآخر مرة. أليس كذلك؟».

وردت دونا صوفيا وقالت بصوت بارد.

«تغيرت كثيراً يا خوانيتا».

واتضح لجينى أن دونا صوفيا لا تكتفى باعتبارها من الأقارب غير المرحب بهم بل تعتبرها غريبة غريبة جاءت لاغتصاب ملكية زوجها وابنه.

وابتسمت جينى عازمة الا يقلقها استقبال عمتها البارد وقالت:

«أنا سعيدة بالتغير هذا يا عمتى صوفيا».

وتذكرت جينى لتوها أن دونا صوفيا تكره أن يناديها أحد «عمتى».

وقالت بصوت بارد:

«فى اللغة الانكليزية كثير من الكلمات القبيحة، لكن القليل منها أيضاً هى كلمة عمتى.. وأرجو ألا تناديني بها ثانية يا خوانيتا».

اضطربت جينى لعدائيتها وغضت على شفتها ثم رمقت عمها متوسلة.

لم تكن راغبة فى افتتاح فترة بقائها فى المنزل بمشادة مع عمتها لكن سيطرتها على مذاجها الحاد ستصعب إذا تمادت عمتها فى عداوتها لها.

وخاطب رفائيل زوجته بصوت هادئ قائلاً:

«عزيزتى صوفيا ليس من العدل أن تطالبى جينى بتكلم الأسبانية وهى لم تتعلمها بعد. علينا التحلى بالصبر ومساعدتها على تعلم لغتنا. ألا توافقين؟».

وتكهنت جينى أن عمها حمل كلامه أكثر من مجرد الدفاع عنها فسألته:

«كنت جاهلة أنه يجب أن أتعلم الأسبانية. أظن مع الأسف أنى لست بارعة فى تعلم اللغات».

كانت تتوقع أن يجيبها عمها لكنها فوجئت أنطونيو البارد والخافت يقول لها:

«إذا كنت راغبة بالمشاركة فى إدارة المؤسسة كما تدعين فعليك إذن تعلم الأسبانية».

نظرت جينى إلى أنطونيو نظرة تحد وقالت بصوت خافت لكن صارم:

«لا أرى ضرورة لتعلمى الأسبانية. كان جدى انكليزيا وأنتم تتكلمون جميعاً الانكليزية».

فقال لها أنطونيو:

«اعتاد جدى مخاطبة العمال بالاسبانية».

وابتسم ابتسامة عبرت عن سروره للصعوبات التى تكهن بان تلاقيها جينى فى أثناء تعلمها الأسبانية. ثم تابع.

«الأفضل لك أن تقتدى بجدك يا ابنة العم الصغيرة».

ولم تكن جينى متأكدة من كونها تحب مناداته لها بـ «يا ابنة العم الصغيرة».

التى لم تخل من الازدراء أم لا، فظهرت الريبة على وجهها وقالت له:

«أننى لست بارعة فى تعلم اللغات».

«آه. فهمت».

وراح أنطونيو يداعب ذقنه فتراءى لها وكأنه أستاذ مدرسة صبور يواجه تلميذاً عنيداً، وكادت أن تقهقه ضاحكة لكنه أضاف:

«إذن إن كنت عاجزة عن تعلم الأسبانية فلن تستطيعى المشاركة فى إدارة المصنع يا جينى. ولهذا السبب أنصحك بتعلمها. أما إذا رفضت...».

ورفع كتفيه معبراً عن الاستسلام.

أدركت جينى أن مشروع تعلم الأسبانية لربما أخفى محاولة لارغامها على التخلى عن حصتها فى المؤسسة فنظرت إليه مجدداً بتحد وقالت:

«سأتعلم. إن كان الأمر ضرورياً عندما يحضر الأستاذ».

فابتسم أنطونيو قائلاً:

«اطمئنى لهذا الأمر فأنا أستاذك».

ونظرت جينى إلى عمها متوسلة لكنه أكد لها:

«أنطونيو أستاذ ممتاز يا جينى».

وأدركت هنا جينى مقدار التحدى الكامن فى تعلمها لغة جديدة على يد شخص يستخف بقدرتها مثل أنطونيو وأحست بلهفة لما هو مقبل وقالت بتحد:

«حسناً سأتعلم الأسبانية».

٢ـ مناعة... الحب

ارتابت جينى حين علمت أن عمها لن يرافقها فى زيارتها الأولى للمصنع وتمنت لو أنه أصر أكثر مما فعل حين عرض عليها القيام بدور الدليل لكنه كان رجلاً لطيفاً وإنما لا يستطيع مقاومة قرارات عائلته الصارمة. وقد ورث أنطونيو قوة إرادة والدته واعتاد التصريح بما ينوى عمله ثم المباشرة فى تنفيذه. وفوجئت جينى بأنه لم يعد يذكر دروس الأسبانية ثانية ولم تكن راغبة قط فى تذكيره بالأمل.

أمضت يومها الأول فى المنزل الريفى تستمتع بالحدائق. وتتكلم مع عمها عن جدها الذى أحباه كثيراً. وتجنبت لقاء عمتها قدر المستطاع لا لأنها تكرهها بل لأن عمتها لم تشجعها على التقرب منها برغم استعدادها هى إكراماً لعمها. ونشبت دونا صوفيا بتحفظها ولم تكلمها إلا عند الضرورة. فى اليوم التالى لوصولها.

جلسوا يتناولون الإفطار الأسبانى التقليدى وأعلن أنطونيو أنه ينوى مرافقة جينى لزيارة مصنع انتاج العصير ورفع رفائيل كتفيه مذعناً لقرار ابنه وقال بصوت هادئ:

«كنت أنوى مرافقة جينى بنفسى. لكن إن كنت تفضل أنت مرافقتها يا أنطونيو فلك ما شئت».

وحاولت جينى الاعتراض فقالت:

«لكن...».

وشرعت تنقل نظرها بين الابن والأب وكانت تخشى الانفراد بأنطونيو لمدة طويلة لكثرى ما كان هذا يركبها.

قاطعها أنطونيو مخاطباً والده:

«أودّ الاطلاع على مدى تعليم جدى لجينى عن صناعة العصير».

وأجابته جينى من دون تردد:

«لا أعرف شيئاً عنها. ولم يكن جدى يكلمنى عن أعماله حين كنا نلتقى، بل كنا نتحث عن مسائل أخرى».

ثم رمقت أنطونيو وتابعت:

«فى أى حال لا أظن أن من المهم أن أعرف شيئاً عنها».

ورفع أنطونيو حاجبه الأسود وكأنه كان يتوقع ما قالته، ثم ابتسم وقال:

«أرى أنك لن تكونى شريكة جدية لنا! ولكن لا أحد يتوقع من النساء أن يقمن بهذا الدور».

كان جالساً فى الظل يواجهها وقد زادت ظلال أشجار النخيل من دكنة ملامحه وعمق عينيه الداكنتين وأبرزت كل خط

من خطوط وجهه. واضطربت جينى لرؤيته وتمنت لو استطاعت التوقف عن الانتباه إلى كل هذه الأمور المتعلقة به.

وقالت بصوت حاولت جعله ثابتاً برغم خفقان قلبها:

«لا علاقة لذلك بكونى امرأة. كل ما فى الأمر أن لم أعد هذه المصلحة أى اهتمام من قبل ولكن اطمئن يا أنطونيو فسوف أتعلم بسرعة».

«إنى مطمئن».

وحاول ارغامها على النظر إليه مدة أطول مما أرادت ثم تابع:

«لكن أرجوك ألا تظنى أنك قادرة على تعلم كل شئ خلال بضع ساعات قليلة فالعمر كله قد لا يكفى لتعلم هذه الأمور».

وهزت جينى رأسها ثم قالت:

«أعرف هذا لكن بوسعى التعلم شيئاً فشيئاً فلدى متسع من الوقت».

وادركت جينى أن أنطونيو اعتبر تفاؤلها من باب التهور لكنها رفضت الإذعان له.

سألها:

«وهل يعنى هذا أنك مستعدة للمباشرة فوراً؟».

لم تجب جينى على سؤاله فوراً بل تناولت بعض العسل ثم قالت:

«أنت تريد رميى فى الماء من غير أن أجيد السباحة».

وأحست أنه اضطرب لعدم فهمه معنى جملتها فسرّت لاضطرابه ونظرت إليه تبتسم ظافرى وقالت مفسرة:

«أعنى هل تريد منى أن أباشر العمل فوراً؟».

كان الطقس حاراً جداً وكانت جينى تفضل الجلوس فى ظل أشجار النخيل طوال النهار لكن صَعُبَ عليها الآن التهرّب من التحدى الذى جبهها به. واتّضح لها أنه ظنّ أنها تحاول التراجع أو تأجيل الزيارة فسألها:

«ألا تودين مرافقتى اليوم يا جينى؟».

وأومأت إيجاباً وهى تلعق العسل عن شفتيها:

«بالطبع سأرافقك. أنى متلهفة لزيارة ما ورثته».

وأدركت ولكن بعد فوات الأوان أنها أخطأت بلفظها كلمة «ورثت». وثار سخط دونا صوفيا التى اعتبرت كل منها استفزازاً مقصوداً فنظرت إلى جينى بعينين ماكرتين متجاهلة محاولة زوجها لتهدئتها وسألتها بلهجة قاسية:

«هل أنت تسخرين من ابنى لفقدانه ارثه. يا للهول. ألا تعرفين الشفقة؟».

واستاءت جينى من اتهام دونا صوفيا لها وحاولت السيطرة على نوبة الغضب التى اجتاحتها، فلم تقصد الهزء من أنطونيو كما ظنت والدته لكن دونا صوفيا لن تقتنع بذلك.

ولم تكن جينى راغبة فى إثارة جدال مع عمتها وكانت على وشك تلطيف الأجواء ونزع فتيل التوتر إكراماً لعمها على الأقل حين قاطعها أنطونيو إذ خاطب والدته بالأسبانية فيما وضع يده على ذراعها وفوجئت جينى بصرامة ملامحه الصقرية فى هذه اللحظة.

وأذعنت دونا صوفيا لابنها. وأدركت جينى أنه نادراً ما كانت دونا صوفيا تتجادل مع ابنها وسبب ذلك أنها تعرف أنها لا تستطيع قهر إرادته الجبارة على رغم قوة شخصيتها.

وتابعت جينى تناول افطارها محاولة عدم إظهار إحساسها بالراحة لتطور الأمور لكن أنطونيو بدا وكأنه مصراً على بلورة الأمور فى ذهنه.

فسألها:

«سترافقيننى إذاً يا جينى؟».

وأومأت جينى إيجاباً وقالت:

«لقد سبق أن قلت لك أنى سأرافقك».

وخيّل إليها أنها ترى بريقاً من الرضى فى عينيه. وقال لها:

«ستحتاجين إلى ثوب يغطى ذراعيك».

وكادت أن تحتج على افراطه فى التعامل معها وكأنها طفلة صغيرى لكنه قاطعها رافعاً يده وقال مفسراً:

«إن جو المعمل بارد جداً خصوصاً بعد دفء الشمس فى الخارج».

«آه. فهمت».

وحدّق فيها بعينين امتلأتا بهجة ثم قال لها بصوت ناعم:

«ما دمت تريدين تعلم الأسبانية فينبغى أن تتعلّمى أيضاً ألا تتكلمى قبل أن تفكرى جيداً بما ستقولين. هذا من خصائل المرأة، وإن كنت ستصبحين واحدة من آل فرنسيسكو فعليك تذكر هذا».

فوجئت جينى بكلامه فحدقت فيه ثم هزت رأسها وقالت:

«لكنى لست من آل فرنسيسكو ولا أريد تغيير اسمى يا أنطونيو».

وابتسم للحظة ثم رمق أباه الذى هزّ رأسه مما زاد فى اضطرابها فقطبت حاجبها إلا أنه ابتسم لها ثم تمتم بالأسبانية شيئاً لم تفهمه فسألته:

«ما الذى تقوله عنى؟».

وفوجئت به يقهقه وانفرجت أساريره الصقرية الصارمة وأثار رنين ضحكته الناعم الخافت خفقات قلبها وجعلها ترتعش. وأكثر ما أدهشها هو تلك اللطافة والنعومة اللتان فاضتا من ملامحه. وسطعت عيناه سروراً ثم حدق فيها للحظة قبل أن يتكلم قائلاً:

«قلت لتوى أنى معتاد الحصول على ما أرغبه».

ثم ابتسم حين رأى حالة الضياع التى انتابت جينى. لكنها قالت:

«وما علاقة هذا الأمر بانتمائى إلى آل فرنسيسكو؟».

وشعرت بقلق عميق حين رأت علامات الاستياء والغضب على وجه دونا صوفيا:

ظل أنطونيو يبتسم غيراً به لاستياء والدته الواضح وهز رأسه ببطء ثم قال بصوت ناعم:

«سوف تفهمين يا ابنة العم الصغيرة. سوف تفهمين».

كان لجو المصنع البارد والشبيه بالكهف وقع عظيم فى نفس جينى فراحت تنظر حولها دهشة. كانت البراميل الخشبية مصطفة على الأرض الرملية فى غرف واسعة طليت جدرانها بالأبيض وفى ممرات كممرات الكاتدرائيات وكأنها دهاليز لا نهاية لها.

وسمعت جينى أصواتاً دلّت على وجود أشخاص كثيرين فى المعمل بيد أنهما لم يصادفا سوى رجل قصير القامة أسمر اللون، مجعّد الوجه تقدم فى اتجاههما لحظة وصولهما. وبدا قلقاً أو هكذا تراءى لجينى وألقى على جينى نظرة خاطفة، ومستغربة ثم التفت نحو أنطونيو وخاطبه بالأسبانية فظنت جينى أنها سمعت لفظة «آنسة». وبدا أنطونيو منزعجاً لسماع أخبار هذه الآنسة إذ هز رأسه بصرامة ثم رمق جينى قبل أن يجيب بصوت لبق ومتشدد. ثم التفت نحو جينى ورفع حاجبه وابتسم ثم قال:

«آسف لأنك لم تفهمى ما دار بيننا. وأعتذر لاستعمالى الأسبانية لكن العجوز بيديز لا يتكلم الانكليزية».

وأجابته جينى بصوت ناعم:

«أظنك مسروراً جداً لكونى لم أفهم».

ولم تستطع مقاومة الابتسام جينى رأت علامات الاستهجان على وجهه.

وسألها بصوت بارد:

«هل تعتقدين فعلاً ذلك؟».

وأمسك بذراعها.

نظر العجوز إلى أنطونيو ثم تناول كأساً وسكب فيه بعض العصير وقدمه إلى جينى. شربت جينى وأدركت أنها لم تذق فى حياتها شراباً أطيب. وعبرت باللغة الانكليزية عن إعجابها وسرّ العجوز برغم عدم فهمه لما قالته بالتحديد، ثم خاطب أنطونيو بالأسبانية.

وتذكرت جينى رغبة أنطونيو لها بصورة تعلم الأسبانية للتعامل مع المستخدمين. وسألت أنطونيو قائلة:

«ما هى المدة التى يستغرقها انتاج العصير».

حاولت بطرحها السؤال هذا إظهار بعض الاهتمام الذكى وقد تذكرت أنه شكك فى ذكائها حين اعترفت له بقلة مقدرتها على تعلم اللغات.

رفع حاجبيه بفضول ثم ابتسم وسار يرشدها فى الممرات وسط البراميل الخشبية وهو يمسك بذراعها. ثم قال:

«تستغرق عملية الانتاج وقتاً طويلاً إذا ما أردنا الحصول على شراب جيد النوع».

وابتسم فيما رفع حاجبه مرة أخرى معبراً عن أحاسيس

كثيرة ومتنوعة وقال:

«أخشى ألا تكون هناك طريقة لجنى الأرباح بسرعة».

ثار سخط جينى لكلامه وصاحت به:

«أنى لا أفتش عن طريقة للكسب السريع بل أنا مهتمه فقط بتعلم كل ما يجب أن أتعلمه».

ولاحظت أن تصرفاته الهادئة وابتسامته كانت تخفى مقداراً كبيراً من الاحتقار لجهلها وتساءت استقزازه لزعزعة ثقته بنفسه فقالت:

«لربما من الأفضل أن أسأل غيرك عن هذه الأمور».

ارتبك لكلامها وسألها:

«عفواً، لم أفهم؟».

وشجعها ارتباكه على متابعة استفزازها له فرمقته بمكر ورفعت حاجبيها ثم ابتسمت وقالت:

«تساءلت لتوى هل أنت الشخص المناسب للاجابة عن أسئلتى حول انتاج العصير. لربما أفادنى عمى رفائيل أو أحد مستخدمى المصنع أكثر منك. لم يخطو قط فى بالى أنك قد تجهل بعض الأمور بل افترضت أنك ملم بكل التفاصيل».

وصمت أنطونيو لبعض الوقت لكنه أطبق قبضة يده على ذراعها وشد بأصابعه عليها فآلمتها وقال لها بصوت ثابت وهادئ جعلها ترتعش:

«يا لوقاحتك».

«وقاحتي».

رمقت جينى وجهه الداكن والصارم وأدركت أنها بالغت فى استفزازها له لكثرة تهورها.

وقال لها بسرعة.

«أتعرفين معنى هذه الكلمة؟».

وحاولت جينى ترطيب شفتيها ثم قالت:

«بالطبع أعرف ولكن لم... لم أعنِ... لم أكن وقحة».

وحاولت تهدئة أنطونيو بعد أن نجحت فى زعزعة ثقته بنفسه.

وانزعجت للقساوة والقوة اللتين رأتهما فى وجهه.

وسار بصمت يقودها عبر الممرات وسط الجدران البيضاء وبين البراميل التى تراءت لها فى ظلمة المعمل الباردة وكأنها وحوش مفترسة وتوقف أنطونيو فى مكان مقفر وهادئ وتصورت جينى أنه من السهل على المرء أن يختفى من الوجود فى مكان كهذا.

ولم تستطع تحمّل الصمت مدة أطول. فقالت:

«كنت أعنى أنه لربما لم يكن لديك الوقت الكافى لتعلم كل شئ».

ورمقها أنطونيو كأنه تكهّن بما يساور ذهنها من شكوك وكانت أصابعه لاتزال تقبض بشدة على ذراعها الناعمة. حاولت

جينى الافلات من قبضته لكنها لم تفلح وكأنه يزدرئ ضعفها. وزاد من شدة قبضته وبدا وكأنه قاض يسعى وراء الانتقام. وأحست بالذعر يعتر بها فجأة.

«أنطونيو أرجوك هل تستطيع أن...».

لكنه قاطعها بصوت صارم وخافت متجاهلاً رجاءها:

«أنى أعرف هذه المصلحة معرفتى لذاتى. وقد تعلمتها منذ طفولتى لإيمانى أنها ستصبح ملكاً لى يوماً. تعلمتها كما يتعلم الطفل الأبجدية بعكسك أنت أيتها النحيلة. هذه حياتى ولن أدع أحداً ولا حتى أنت أن ينتزع قسماً منها».

«أنطونيو أرجوك».

والتفت إلى الخلف ورأت أن المكان خال إلا منهما وراح قلبها يخفق بسرعة فيما سار أنطونيو بسرعة وهرعت للحاق به.

وسألها بصوت قاس فيما أصابعه راحت تجرها:

«تعتقدين أن بامكانك التعلّم؟ انك لا تعرفين شيئاً».

«أرجوك».

وحاولت مجدداً الافلات منه وقد امتلأت عيناها بالدموع.

«أرجوك أريد العودة».

توقف فجأة ونظر إليها وبرقت عيناه الداكنتان فى النور الخافت ثم هزّ رأسه وكأنه يريد التخلص منها وأرخى قبضة يده عن

ذراعها فنظرت إليه بعينين مذعورتين، مفضوحة بدموعها فيما كان قلبها يخفق بسرعة.

«جيني؟».

وقطّب حاجبيه كان دموعها أربكته.

«إني... إني آسفة... لن أرد».

استدار أنطونيو لمواجهتها ووضع يده على ذراعيها وضاقت عيناه فضولاً فيما نظر إليها ثم سألها:

«مم أنت خائفة؟».

لم تجبه جيني بل أخفضت عينيها وحاولت ألا تنتبه لقوة وضخامة جسمه.

«جيني!».

رفع ذقنها بيد قوية فواجهت عيناها عنقه الأسمر والنبض الخافق في أسفله. ثم قال لها بصوت ناعم:

«أنت تسيئين فهمي مرة جديدة يا ابنة عمي الصغيرة».

وهمست:

«أرجو يا أنطونيو أن تعيدني إلى المنزل».

لكنها رفعت رأسها وحدقت فيه غاضبة حين سمعت رنين ضحكه الناعم والعميق.

وانزلقت يداه ببطء حول عنقها الناعم وعصرت أصابعه القوية عنقها لبرهة ثم ضحك من جديد لكنه بدا غاضباً.

«هكذا اعتقدت أنى جئت بك إلى هذا المكان كى...».

وعبّر بحركة من يده عما كان يساورها، فارتعشت وتوسلته بصوت خافت:

«وكيف لى أن أعرف ما تنوى عمله».

وحاولت جاهدة أن تسيطر على ارتجاف ساقيها فيما أمسك بذراعها من جديد وسألها بقوة:

«تعتقدين أن أرغب علىّ قتلك كى أحصل على ما هو ملكى».

ورمقته جينى بطرف عينيها متوسله وقالت:

«أنى... أنى آسفة».

وتمنت لو استطاعت التغلب على ضعفها وهى لم تعتد البكاء وطلب الرحمة من قبل وها هى الآن تتوسله أن يتركها لكنّ يديه القويتين أحكمتا قبضتهما عليها لمنعها من الفرار.

وسألها مجدداً بصوت هادئ وطبيعى:

«هل تظنين فعلاً أننى قد أقدم على عمل كهذا؟».

ونظرت إلى وجهه الصقرى القاسى واعترفت هامسة:

«لا أدرى».

«يا للهول. يا لك من حمقاء».

وفوجئت جينى بذراعيه تلفانها وبجسمه يلتصق بها فافلتت

منه بسرعة وهرعت لاهثة فى الممر وإذا بها تصطدم بالعجوز بيريز الذى غمرها أيضاً بين ذراعيه ولكن بلطف ونظرت إلى وجهه ورأت علامات التعجب والفضول عليه وتخطاها بنظرة يسأل أنطونيو عن تفسير لما يحدث.

وقف أنطونيو حيث تركته وبدا عليه السخط الشديد. وسألها العجوز:

«ما بك يا آنستى؟».

التفتت إلى الخلف ثم رطبت شفتيها وسألت العجوز بلهفة:

«أرشدنى إلى المخرج. أرجوك».

ورفع العجوز كتفيه حائراً وألقى بنظرة إلى أنطونيو ثم قال لها معتذراً».

«لا أفهم الانكليزية يا آنستى. أنى آسف».

فكررت جينى سؤالها بيأس:

«المخرج؟ أين المخرج؟».

وأدركت أن الأوان كان قد فات بين رأت أنطونيو يتجه نحوهما وغار قلبها ذعراً فيما ارتاح العجوز لقدوم مستخدمه.

كان أنطونيو يربكها فى الظروف العادية فكيف وقد حاول الآن معانقتها وشعرت بضعف غريب وبرغبة جامعة فى الفرار بسرعة.

وشرع العجوز قائلاً:

«دون أنطونيو».

لكن أنطونيو أومأ له أن أصمتْ ثم نظر إلى جينى وقال لها بصوت رقيق:

«لقد تصرّفت برعونة يا ابنة عمى الصغيرة».. وأمسك بذراعها مجدداً ثم تابع: «لماذا حاولت الهرب؟».

وهمست بسرعة:

«أنت مدرك تماماً السبب».

وأثار التعبير الذى اعترى وجه العجوز سخطها وكأنما اتضحت له فجأة حقيقية ما يحصل.

وسألها أنطونيو بهدوء:

«هل حاولت الفرار لاننى عانقتك؟ لماذا يا جينى؟ هل تلوذين بالفرار كلما عانقك رجل؟».

وصرخت جينى باكية.

«أتركنى وشأنى».

وابتعدت عنه متجهة نحو نهاية الممشى من غير أن تدرى إلى أين يؤدى، «ما لبث أن لحق بها وأمسك ذراعها بيده من جديد وراحت أصابعه الرشيقة تداعب بشرتها الناعمة بلطف لكنها انتزعت ذراعها وابتعدت عنه بقدر ما سمح لها ضيق الممر. وابتسم ثم سألها برقة:

«هل افهم منك أن رجلاً من قبل لم يعانقك؟ لا أستطيع تصديق ذلك يا جينى».

«كان الأمر مختلفاً من قبل».

ورفعت كتفيها غير راغبة فى متابعة الكلام. كل ما أرادت هو الابتعاد عنه والخروج من جو المعمل البارد والعودة إلى دفء الشمس.

وكرر سؤاله بصوت لطيف لكن باصرار:

«وكيف ذلك؟».

وشعرت من جديد بضعفها، وبلعت ريقها بصعوبة وحاولت السيطرة على خفقات قلبها المتسارعة والمستجيبة لملامسته ذراعها ثم قالت بصوت خافت:

«من الخطأ أن تعانقنى فأنت ابن عمى».

سمعت رنين ضحكه القاسى وذعرت. ثم أفلتت ذراعها من قبضته وسارت فى المشى بعيدة عنه. عادت إلى ذاكرتها تلك النظرات التى تبادلها أنطونيو مع العجوز لدى وصولهما.

واتضح لها أن ثمة امرأة أتت لمقابلة أنطونيو عالمة بوجوده فى المعمل ولم يسر أنطونيو لقدومها بل انزعج لورود اسمها!! جينى على رغم عدم فهمها الأسبانية. وتساءلت حول هوية المرأة هذه. وسألها من جديد:

هل تعتقدين أنه من الخطأ أن يتعانق أولاد العم؟ لماذا يا عزيزتى؟».

«أننا أقوياء ما فيه الكفاية».

«أهاه!».

أرفق صيحته اللاتينية هذه بحركة واسعة بيده وكأنه يبعد شيئاً لم يحبه. وتذكرت جينى أن من عادة أنطونيو أن يتجاهل الأمور التى تزعجه أو تحول دون تحقيق رغباته وكأنها غير موجودة.

وتراءى لها المدخل على مسافة قصيرة إلى الأمام فحثت خطاها فى اتجاهه. كانت تشعر بالراحة لمجرد دنو لحظة خروجها إلى الشمس.

وتعجبت لراحتها هذه على رغم اضطرارها إلى العودة برفقة أنطونيو فى السيارة حيث لن يوجد من ينجدها إذا ما احتاجت إلى أحد.. واعترفت فى قرارة ذاتها أنها كانت تبنى كثيراً من الاستنتاجات ولربما ظلمت بعضها أنطونيو كما ادعى لكنها لم تستطع نسيان تلك النظرات الخاطفة التى تبادلها مع العجوز لدى وصولهما.

اقتصرت معرفتها للأسبانية على بعض الكلمات الأساسية لكنها كانت متأكدة من أنه تمنى لو لم تسمع بعض ما ورد فى حديثهما وأيقنت أن لفظه «آنسة» تتعلق بامرأة أراد أنطونيو اخفاءها عنها. أربكتها حال أنطونيو هذه أكثر من حالات الغضب أو الازدراء لها التى باتت تعرفها. وعلى رغم محاولته معانقتها، شعرت بتزايد تأثيره عليها يوماً بعد يوم.

أيقنت أنه لا ينوى إيذاءها، رغم استيائه منها بسبب حرمانها له من امتلاك المصنع برمته وقد أظهر لها مقدار تعلقه به.

توجهاً معاً نحو السيارة المتوقفة واحتفظ بيده على ذراعها من دون أن يداعبها بل كان يقبضها بغضب وكأنه اغتاظ لملاحظتها حول صلة القرابة بينهما. وقال لها:

«جينى».

حاولت الافلات منه وراح قلبها يخفق بسرعة فائقة. ونظرت إلى عينيه الداكنتين وحاولت فهم التعبير الذى رأته فيهما لكنه تابع يقول:

«هل تظنين أن صلة القرابة بيننا تمنعنا من المعانقة؟ هذا سخف يا جينى».

«لست من رأيك».

لم تنظر إليه لكنه أمسك بذقنها ورفع وجهها نحوه كما فعل فى المصنع من قبل. وعَلِقَ نظرها مجدد أعلى عنقه الأسمر والنابض وانكمشت يداها على صدره ثم ابتعدت عنه:

وقال بصوت هادئ ومقنع:

«صحيح أن أبوينا من جد واحد ولكن...».

وحاولت جينى فهم سبب اصراره لكن من دون جدوى. وبدا مصراً على أن تعتنق وجهة نظره فقالت:

«هذا يجعلنا أبناء عم».

لكنه أصرّ قائلاً:

«نعم. لكننا لسنا أبناء عم. فوالدى شقيق والدك من أم ثانية».

«أعرف ذلك ولكن...».

لكنه قاطعها بقوة:

«مما يعنى أن الدم الذى يجرى فى عروقنا ليس مشتركاً إلا بنسبة قليلة.

«لا أنكر ذلك ولكن...».

«إذن».

رفعت جينى عينيها أخيراً ونظرت إليه بفضول وقد شعرت أنه حمل كلمته الأخيرة أكثر من معنى فسألته:

«أنطونيو؟ وما أهمية هذا الأمر؟».

صمت أنطونيو قليلاً وغارت عيناه الداكنتان ثم شدد قبضته على ذقنها فجأة وافترّ ثغره عن ابتسامة أثارت خفقان قلبها ثم قال بصوت هادئ:

«لأننى أنوى الزواج منك يا ابنة عمى الصغيرة».

تمكنت جينى بعد جهد من حمل عمها على التكلم معها على حدة فخرجا إلى الحديقة فى مساء اليوم ذاته وكان مهتماً لمعرفة ما يجول فى ذهنها فسألها بأسلوبه اللطيف والناعم:

«هل من أمر يزعجك أيتها الطفلة؟ لربما عمتك...».

وسارعت جينى أن طمأنته قائلة:

«كلا. ليست عمتى صوفيا إنما أنطونيو يا عمى رفائيل».

أكفهرّ وجه عمها عند سماعه كلامها وكأنه يرفض التكلم عن ابنه وواجهت جينى صعوبة فى اكمال كلامها فعضت على شفتيها مضطربة وسمعته يقول لها:

«كنت آمل أن تتوطر الصداقة بينكما».

ثم بسط ذراعيه معبراً عن أسفه.

نظرت إليه جينى وأدركت فجأة أنه على علم بخطط أنطونيو للزواج منها ولابد أن تكون دونا صوفيا على علم بها أيضاً مما يفسر كرهها لها. رطبت جينى شفتيها مرتبكة لكنها أدركت أن عليها متابعة تقصى الحقائق على رغم اضطرابها وقالت بصوت حاولت إعطاءه نبرة البرودة:

«أنى على أتّم الاستعداد لأن أكون صديقة لأنطونيو. لكنه يريد منى أكثر من ذلك. أليس كذلك يا عمى رفائيل».

ورمقت عينيه الحزينتين فتذكرت عينى جدها وأحست بالشفقة حياله من دون أن تعرف السبب. ومشى بجانبها عبر الحدائق العطرة وذراعه حول خصرها ثم قال لها بعد صمت طويل وبصوت هادئ ورقيق:

«نصحت أنطونيو بالانتظار مدة أطول حتى يتسنى لك الاعتياد على أساليبنا وعلى حياتنا وبلادنا. ولكن...».

وبسط ذراعيه مستسلماً:

«لكن ابنى رجل لا يعرف الصبر وينال دائماً ما يريد».

وصاحت به جينى:

«لكن لن ينال منى».

لم تكن مقتنعة تماماً بما قالته إذ كانت متأكدة من أن أنطونيو قادر على اقناع الطيور بمغادرة الأشجار إذا أراد: وكانت تخشى قدرته على الاقناع بقدر ما تخشى قدرته على تحريك مشاعرها.

والتفت رفائيل بسرعة لسماعه رفضها ورمقها بعينين ضيقتين ثم سألها:

«وهل صارحت أنطونيو بهذا؟».

أومأت جينى إيجاباً ثم قالت:

«نعم، بالطبع».

وقطّبت جينى حاجبيها حين تذكرت رد فعل أنطونيو. وتوقعت وقتها أن يجادلها أو أن يصرّ عليها كعادته لكنه اكتفى بهز رأسه وبالابتسام ثم فتح لها باب السيارة.

وهز رفائيل برأسه فقطبت حاجبيها من جديد وقال لها بصوت متأسف:

«من المؤسف أنك تصرفت بهذا التهوّر. كانت الحكمة تقضى بأن تنتظرى بعض الوقت قبل الإجابة».

وذهلت جينى حين سمعت قوله وهزت رأسها غير مصدقة وقالت:

«ولكن هل تعنى أنك موافق على خططه. أى أنك تريدنى أن أتزوج أنطونيو».

ورفع رفائيل مجدداً كتفيه ثم بسط يديه وقال:

«وما الضرر من ذلك أيتها الطفلة؟».

ذهلت للموقف المتباين الذى تبناه وكانت تحسبه حليفا لها وقالت:

«ولكنى لا أكاد أعرفه».

ثم تذكرت حادثة العجوز فى المصنع فتابعت:

«ألا توجد امرأة أخرى فى حياة أنطونيو؟».

رمقها وقد اضطرب ثمّ قال:

«كلا يا جينى لا نساء فى حياته».

كانت تتمنى تصديقه لكنها كانت مقتنعة بتفسيرها للحوار الذى دار فى المصنع فرمقته بفضول وقالت وهى تحاول انتقاء الكلمات المناسبة:

«ظننت... قد أكون مخطئة».

ورنا إليها رفائيل بعينين حزينتين ثم قال بصوت رقيق:

«أنت لا تعلمين أيتها الطفلة أن جدك أردا لك أن تتزوجى أنطونيو وهو الأمر الذى مدا به إلى جعلك وريثة له وهذا سبب قدومك إلينا».

حدقت جينى فى عمها وسطعت عيناها الخضراوان فى النور الخافت وقد اتسعتا لدهشتها وتضاربت الأفكار فى ذهنها لما سمعت.

لقد بدا رفائيل واثقاً من كلامه ولكن صَعُبَ عليها التصديق بأن جدها يتصرف بهذا الشكل وهى التى اعتقدت أنه أحبها. وقالت بسرعة:

«لا. لا أستطيع تصديق أن جدى قد يعاملنى بهذه الطريقة إذا كان يحبنى».

«وكان يحب أنطونيو أيضاً».

ووضع رفائيل يده بلطف على ذراعها وتابع:

«كان دائم التحسر على التفرقة التى سادت عائلتنا وهو الذى أرادها متحدى بشقيها واعتبر أن زواجك من أنطونيو هو السبيل الوحيد لاعادة لحمة العائلة. يا جينى».

وهمست قائلة:

«لكن هذه الحسابات مريعة».

«لا. لا أيتها الطفلة».

دل احتجاجه هذا على عدم معارضته مشروع والده وعلى المرونة التى كان يتعامل بها مع الموضوع. وسمعته يقول:

«يتعدى زواجكما كونه مناسباً فهو زواج لحمة أيضاً إذ ستتمو العائلة كما تمنى والدى وتستمر مؤسسة فرنسيسكو وأولاده مزدهرة».

وصاحت جينى بيأس:

«كلا لا أستطيع الزواج فى ظروف كهذه خصوصاً من أنطونيو».

وعبرت عينا رفائيل عن ارتباك كبير وكأنه لا يستطيع فهم امرئ لا يحب أنطونيو وسألها:

«ألا تحبين أنطونيو؟».

تفادت جينى النظر إليه لكن قلبها راح يخفق بسرعة جنونية حين تذكرت معانقة أنطونيو لها وملامحه القاسية حين نعتها بالرعونة وأدركت أنه لن يتردد أبداً فى الزواج منها من أجل الحصول على حصتها. وهى تفضل الموت على التخلى عن حصتها بهذه الطريقة وأجابت عمها بصوت هادئ:

«أنى أكن كل المودة لأنطونيو، لكنى لن أتزوج منه مهما كانت الظروف. آسفة يا عمى رفائيل. لكن تربيتى تمنعنى من القبول بأمور كهذه. لا أستطيع الزواج لتلبية رغبة جدى أو للحمة العائلة. لم نعد فى القرون الوسطى يا عمى رفائيل ولا يتزوج الناس لدوافع مماثلة فى أيامنا».

وصمت لوهله لكنه تابع السير بجانبها. كانت جينى لاتزال تستصعب التصديق أن جدها الذى أحبته حباً جماً وظنت أنها تعرفه معرفة وثيقة قد خطط مستقبلها بهذه الطريقة. وسألها رفائيل بصوت ناعم:

«تنوين الزواج بدافع الحب وحده، أيتها الطفلة».

ورمقته جينى وأدركت مجدداً مقداراً استهجانه رفضها الزواج من ابنه. وقالت موافقة.

«متى قررت الزواج فلن أتزوج إلا بدافع الحب. هذا هو السبيل الصحيح الوحيد يا عمى رفائيل».

«هذا معقول».

وطأطأ رأسه لبرهة وجيزة ثم نظر إليها وابتسم فيما سألها بصوت ناعم:

«ولم لا يكون الحب دافعك أيتها الصغيرة؟ أنت لا تنوين مغادرتنا أليس كذلك؟».

هزت جينى رأسها مترددة. ولم تعد واثقة أبداً من صواب بقائها فى المنزل بعد أن سارت الأمور على هذا المنحنى وقالت:

«لا. لن أغادركم. أو بالأحرى ليس فى القريب العاجل».

وابتسم فتوهجت أسنانه فى الظلام ثم قال بصوت هادئ:

«سيكون الوقت كافياً إن شاء الله».

٣ـ الحوار القاسى

وجدت جينى صعوبة فى التصرف وكأن شيئاً لم يحدث وأدركت أنها باتت تحاول تفادى لقاء أنطونيو على رغم عيشهما فى منزل واحد وعلى رغم دروس الأسبانية. لم يبد أنطونيو منزعجاً أبداً لكونه أفشى لها مخططاته للزواج والدوافع الكامنة وراء قراره كان نادراً ما يحقق فى الحصول على ما يريد.

كان يعتبرها جزاءاً من المؤسسة التى يمتلكها عن حق وهو مستعد لأى شئ فى سبيل تحقيق رغباته. وبرغم اصرارها على رفض مقترحاته كانت تحس بفضول أحياناً لمعرفة موقفه منها إذا ما استمرت فى رفضها. وشعرت بالمغامرة لبقائها فى المنزل فى حضور أنطونيو ورفضها له.

لم تفهم جيداً الدوافع التى حددت بها إلى قبول دروس الأسبانية لكنها أدركت أن لعمها رفائيل دوراً كبيراً فى قرارها لكونه متلهفاً لأن تتكلم لغتهم. ولم تجد سبباً مقنعاً للاعتراض فقد لعب طابع التحدى الذى أضفاه أنطونيو تشكيكه فى مقدرتها الذهنية على تكلم الأسبانية دوراً مهما إذا سمحت الفرصة أمامها كى تبرهن أنه مخطئ فى الاستخفاف بها.

فوجئت لكونها تكيفت تماماً بعد مرور أربعة أسابيع على اقامتها فى المنزل الذى احتفظ ببعض بصمات جدها اضافة إلى طابعه الأسبانى الأكيد وكانت تحب جو غرفتها وتستمتع بالنوم فى سريرها الحريرى الكبير وسط أعمدته الأربعة وقد أحاطت بها الرفاهية من كل جانب أحبت البساط وأغطيت السرير المعلقة والنوافذ المقنطرة والعالية التى تطل من خلال التلال الخضراء وأزهار الورد والمانوليا التى تدلت على حافة النوافذ مالئة الغرفة الوانا وعطراً. وأدركت جينى أنها لم تسكن فى حياتها غرفة أجمل وشعرت أنها بمكوثها فى هذا المنزل تلبى مشيئة جدها وكانت عازمة على الاستمرار ولو رفضت الانصياع لبقية مخططاته لها.

هبطت السلم ما بعد ظهر ذات يوم تتأبط كتابا وأحست بشعور الانتفاضة ذاته الذى يتكرر لاقتراب موعد الدرس مع أستاذها القليل الصبر. كانت بطيئة فى تعلم اللغات وغالباً ما كان صبر أنطونيو ينفذ لظنه أنها تتعمد ارتكاب الأخطاء.

التقت به فى الغرفة المجاورة للبهو ورمق ساعة يده حين فتحت الباب. وقد حولت المكان إلى غرفة دراسة فيها مكتب ضخم قرب النافذة وآخر أصغر منه عند الحائط المقابل للتخفيف من سبل التلهى.

كان أنطونيو مختلفاً عن جميع الأساتذة الذين عرفتهم. وكانت تتزعج لكثرة انتباهها إلى قميصه الأبيض الذى يعطيه طابعاً من القوة والشراسة وعنقه الأسمر القوى والنابض وملامحه الصقرية وقد زادت ركتها فى جو الغرفة الباردة والظليل.

جلس على حافة المكتب الكبير وساقه تتأرجح ونظر إليها ثم قال:

«لقد تأخرت».

قطبت جينى حاجبيها لملاحظته التى طالما كررها واجابته بصرامة:

«انطونيو لست تلميذة فى المدرسة ولست مضطرة إلى الحضور فى ساعة معينة».

وأجابها بهدوء:

«أعتقد أن حسن التهذيب يقتضى بأن تتقيدى بالمواعيد ولربما لست تلميذة مدرسة يا ابنة عمى الصغيرة لكنى لست أيضاً مدير مدرسة وإذا ما استمرت تتعمدين الحضور متأخرة فسأضطر إلى اتخاذ إجراءات لتقويمك تفوق صداقتها كتابة السطور».

واحمر وجه جينى غضباً ورمت الكتاب على المكتب وسطعت عيناها حين نظرت إليه وقد وقف على بعد قدم أو قدمين منها وقالت:

«لا أبالى أن تعلمت أو لم أتعلم».

وتمتم:

«تباً لك. يا لك من طفلة عنيدة».

وصاحت به:

«لست طفلة ولست عنيدة أبداً وإذا ما استمررت بضيق خلقك فإنى راحلة».

كان من الواضح أنه لم يفهم التعبير الانكليزى الذى استعملته فابتسمت لارتباكه ورمقته بطرف عينها ثم قالت:

«أنت فى حاجة إلى أن أعطيك بعض الدروس فى الانكليزية».

ورأت الغضب فى عينيه. فأجابها بصوت بارد:

«من الأفضل ألا تكونى وقحة؟».

ثم تناول الكتاب الذى رمته على المكتب وتابع:

«أننى أجيد الانكليزية وأظن أن اللفظة التى استعملتها غير صحيحة نحوياً».

وترجمة له جينى التعبير:

«ضيق الخلق يعنى سئ الطباع لكنه أكثر ملاءمة فى الحال هذه».

وتنهد أنطونيو وكأنه يبحث عن الصبر الكافى ثم قال:

«يا الهى هناك أوقات أستطيع أن...».

وقبضت يداه السمراوات على الكتاب وكأنهما تحاولان سحقه ونظر إليها بغضب ثم سمعته يتنهد وأشار إلى كرسيها وقال:

«اجلسى. لن نهدر مزيداً من الوقت فى أشياء تافهة».

ولما أدركت أن صبره على وشك النفاد جلست وراء المكتب الصغير مذعنة برغم احساسها بالظلم لمعاملته لها وكأنها تلميذة

مدرسة. وكانت تتوق للتعبير له عن رأيها فيه فعزت نفسها باليوم الذى ستتقن فيه الأسبانية.

فتح الكتاب عند صفحة معينة ووضعه على الطاولة أمامها وأشار باصبعه إلى مقطع عليها محاولة قراءته. كان يعتمد هذا الأسلوب لتدريسها اللفظ وهى تكره القراءة لكثرة الأخطاء التى ترتكبها.

وقال لها باختصار:

«حاولى قراءة هذا المقطع».

ثم عاد إلى الجلوس على حافة المكتب وساقه تتأرجح من جديد، ثم تكتف وراح يراقبها بعينيه السوداوين.

شرعت بالقراءة وبارتكاب الأخطاء فى لفظ الكثير من الكلمات التى غالباً من ظنت أنه يستحيل عليها لفظها. وكانت تحاول تذكر الفروق بين الانكليزية والأسبانية وتعرفت إلى اسم واحد وهو مدينة قادش فسارعت إلى لفظه لكن أنطونيو استوقفها قائلاً بغضب:

«لقد أخطأت لفظ كلمة قادش كعادتك يا عزيزتى، لماذا؟».

وأجابت:

«لست أدرى. ربما لأنك جالس على المكتب هذا ترقبنى وكأنك صقر ينتظر لحظة ارتكابى الخطأ للانقضاض على. أنك تثير أعصابى فلا يعود فى وسعى حفظ أى شئ».

«أنا... أنقض».

وفاضت ملامح وجهه بالاستهجان وتأكدت لتوها من صحة استعمالها لكلمة «انقضاض» أذ كان يذكرها بتلك الطيور الكبيرة المنقضة.

لكن استعداده للانقضاض لم يكن السبب الوحيد لعصبيتها.

وعدم تركيزها بل كانت هناك أسباب أخرى لم تستطع تحديدها حتى الآن لكنها كانت تربكها.

وأصرت على موقفها فقالت:

«أنت حقاً تنتظر لحظة الانقضاض على. وتعلم هذا الأمر يا أنطونيو».

«وأنا أثير عصبيتك؟».

«أجل».

استاءت لاعترافها هذا لادراكها أنه أقل غضباً مما توقعت ولاحظت أن عينيه السوداوين تراقبانها عن كثب. وسألها بصوت هادئ:

«وما السبب؟».

ثم ابتسم للحظة.

أجابته بصوت خافت متفادية النظر إليه:

«لقد سبق أن أخبرتك عن السبب. لأنك تتوقع منى أن أخطئ فلو ذهبت وجلست فى مكان آخر لاستطعت التركيز على نحو أفضل».

«أهاه...».

عبرت صيحته هذه عن الكثير وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة غمرت عينيه وخففت من مساوئهما المعهودة فراح قلبها يخفق بسرعة:

«لا أحب أن يراقبني أحد عن كتب في أثناء الدراسة. لا أحد يحب هذا ...».

«لكن من الطبيعي أن يراقب الاستاذ تلميذته».

وانحنى في اتجاهها فجأة وحاول التقاط أفكارها ثم قال:

«أنت تحاولين التذرع يا جيني؟ إليس كذلك».

ارتجفت يداها وعضت على شفتيها قلقة ثم قالت:

«أني لا أتذرع. أرجوك يا أنطونيو أن تذهب وتجلس وراء المكتب الثاني».

«إني متلهفة لمعرفة سبب الهائي لك عن دروسك يا جيني».

ثم داعب ذراعها بلطف فارتعشت وسحبتها وأن على مضض وسألها برقة:

«كيف ذلك؟».

«أنطونيو أرجوك».

كانت تزيده أن يبتعد عنها ويجلس وراء المكتب المقابل أو أن يخرج من الغرفة، إذ أدركت فجأة قوة حضوره في ذهنها وهي لم تعهد الشعور هذا قبلاً ورأت في عينيه أنه يعي تماماً تأثيره عليها، وقد أخطأت في الكشف له عن مدى تأثيره لكونه قادراً على استغلال قدرته هذه لتحقيق أغراضه.

وقال بصوت ناعم:

«يا عزيزتي...».

وانحنى أكثر نحوها ثم أمسك ذقنها ورفعها نحوه. تسارعت خفقات قلبها بقوة وارتخت ساقاها لكنها أبعدت يده اللطيفة عن ذقنها بقوة وعضت على شفتيها متحدية، وقررت ألا تسمح لنفسها بالتأثر بمحاولاته الوصولية للتقرب منها.

وقالت له بصوت خافت ومضطرب:

«لا جدوى يا أنطونيو. لن أغير رأيي مهما حاولت اقناعي».

وارتفع حاجباه بتساؤل مع أنها أيقنت أنه فهم تماماً قصدها لكنه قال بصوت هادئ:

«لم أفهم قصدك. هلا فسرت لي».

«لا داعي للتفسير. فأنت تعلم أني أعرف أنك تحاول بكل الطرق ارغامي على الزواج بك لكني لن أرضى. لن أوافق على الزواج بك كي تحصل على حصتي في المصنع. لن أستطيع أبداً».

وسألها بقساوة وقد فاض الغضب من عينيه:

«يبدو لي أنك تنظرين إلى زواجك بي وكأنه أمر مريب».

ثم نظر إليها بقساوة وقال غاضباً:

«ألا تدركين أن هناك الكثيرات من النساء يتمنين لو كن مكانك؟».

«إذن تزوج احداهن».

ونظرت إليه لاهثة مضطربة وبرقت عيناها وكأنهما بحران كريمان ثم انكمشت يداها على الكتاب الذى يفترض بها أن تقرأه.

قاوم نظراتها لبعض الوقت وفاق غضبه غضبها ثم نهض فجأة وجارته فى النهوض لا شعورياً ووقفت وراء المكتب مرتابة للعاصفة التى أثارتها فيه.

ثم استدار فجأة ووضع يديه فى حيوية وشمخ رأسه بتعجرف ثم قال بصوت قاس ومؤثر:

«لأننى لا أريد الزواج باحداهن. أريدك أنت زوجة لى. وسأبلغ هدفى. أعدك بذلك يا حبيبتى بل أقسم لك أنى سأفعل هذا».

القت جينى بنظرة خاطفة عليه فيما راح قلبها يخفق بسرعة جنونية لتصريحه هذا لكنها سرعان ما تذكرت نواياه الجشعة ووصوليته فقالت بصوت مضطرب:

«هل لأنى أملك حصة فى مؤسسة فرنسيسكو وابنه».

«آه، يا لشهامتك».

ونظرت إليه بتحد حين التفت فضحكت للحظة حين رأت عينيه الضيقتين وثغره الملتوى ثم قذفته بالكتاب وسارت باتجاه الباب:

«لا تتعب نفسك فى تعليمى الأسبانية يا أنطونيو فهو لن يجديك نفعاً».

«جينى».

لم تلتفت بل وقفت أمام الباب الموصد وشدت يدها على راحة كفها حين أحست بوقع خطاه تقترب منها. وقف وراءها على مقربة وكانت تشعر بغضبه الجامح وبمحاولاته السيطرة على أعصابه وفوجئت بصوته الهادئ يقول لها:

«عودى أدراجك وأكملى الدرس».

استدارت على نفسها ونظرت إليه مقطجه الحاجبين. ثم هزت رأسها ببطء وثبات وقالت:

«لا، لا أرى جدوى فى متابعتى الدروس».

لكنه أصر:

«إن أردت البقاء شريكته فى المؤسسة فعليك أن تتعلمى».

وترددت فترة ثم التفتت لتواجهه وعبرت عيناها عن ارتكابها:

«وإذا قررت الرحيل».

وخيل إليها للحظة أنها رأت شبح ابتسامة على ثغره الواسع وفى عينيه الداكنتين وقال لها بصوت رقيق:

«سأعتبرك عندئذ حمقاء كما اعتدت أن أناديك والحقيقة أننى لا أعنى ما أقول يا جينى».

وارتخت قبضة أصابعه بعض الشئ وعاودت خفقات قلبها إلى التسارع ثم تنهدت وقالت محاولة الظهور بمظهر غير المستسلمة:

«سوف أبقى ولكن... أنتظر حتى أتقن الأسبانية فسأعبر لك عندئذ عن رأيى فيك وأظن أنك لن تسر لسماعه».

ومد يده نحوها يرشدها إلى المكتب ويناولها الكتاب وقال:

«معقول. أما الآن فعليك تعلم الأسبانية يا ابنة عمى الصغيرة وقد تفكرين لاحقاً فى انتقادى».

وشدد قبضة أصابعه للحظة على يدها وابتسم من جديد ثم قال بصوت ناعم:

«سوف نرى. سوف نرى».

اقترح عمها عليها أن ترافق أنطونيو لركوب الخيل لكنها رفضت ضاحكة وأكدت له أنها لا تحب ركوب الخيل. ولم يصر أنطونيو عليها لكنه كان قد عرض عليها سابقاً مرافقته لرؤية الجياد.

لم تحب الخيل فى حياتها وكانت تدرك فى قرارة ذاتها أنها تخشاها ولا تكرهها. لكنها قررت ألا تبوح بدوافعها هذه لأنطونيو واكتفت بالتصريح أنها غير مهتمة بالخيل. وقد اعتاد أنطونيو أن يركب الخيل تقريباً كل يوم فى الصباح الباكر ويرتدى سروال الفروسية القصير وينتعل جزمة ساطعة وقميصاً أبيض يبرز سمرة بشرته. وكانت جينى تعجب دائماً بمنظره فى بدلة الركوب التى تزيد من رجوليته وعدائيته وتفسر بنظرها افتتان كل النساء اللواتى تكلم عنهن.

ولاشك أن المرأة التى أتت لزيارة المصنع كانت احداهن وكانت جينى تتساءل أحياناً إن كان يقابل تلك الآنسة التى أصر عمها على أنها غير موجودة، وكانت جينى متأكدة أن أنطونيو يشكل نصيباً ممتازاً، ليس فقط لكونه شريكاً فى ملكية مؤسسة مزدهرة بل

لجاذبيته وسحره.

ولم يأت على ذكر اسم أى امرأة خلال الأسابيع الستة أو السبعة التى امضتها جينى فى المنزل، إلاّ اسم غازاريس الذى سمعت جينى عمتها صوفيا تلفظه ذات مرة وانتبهت للنظرة الخاطفة التى خصها بها زوجها محذراً، ورأتها تذعن له.

رحب بها النسيم العليل حين خرجت من غرفتها إلى الشرفة وتأملت الحديقة تحتها. وعبير الورود وأزهار المانوليا يفوح ويطغى على العطور الأخرى وتمايلت أشجار البرتقال بفعل النسيم المنعش فيما ألقت أشجار النخيل بظلالها على زوايا الباحة حيث اعتادوا تناول الافطار الذى كان قد اقترب موعده.

وتمطت جينى ثم تثاءبت بكسل وبسطت ذراعيها وتدلى شعرها الأحمر المبعثر. وإذا بها تسمع وقع خطى فى الباحة وقد دلت سرعتها وايقاعها على أن صاحبها هو أنطونيو فخفضت يديها ليتسنى لها مراقبته. وظهر لها بقامته الطويلة والنحيلة وقد انتعل جزمة وسار عبر الحديقة الرائعة بخطى واثقة كعادته فابتسمت.

رأت رأسه الأسود المتعجرف والسوط القصير فى يده وحسبت نفسها فى حلم لكنها وجدت نفسها تمد يدها إلى عنقها لكثرة اضطرابها.

خرج من البوابة الحديد ولما استدار لاقفالها وقع نظره عليها. لم تحرك جينى ساكناً بل حبست أنفاسها حين رفع يداً سمراء يلوح لها:

«صباح الخير يا خوانيتا».

ودهشت لسماع اللفظ الأسبانى لاسمها وهو نادراً ما كان يستعمله فيما وقف فى الظل يراقبها. استعادت رباطه جأشها بسرعة فصاحت:

«صباح الخير يا أنطونيو».

لوح فى اتجاهها مرة ثانية ثم أوصد البوابة ومشى ثم توارى بين الشجيرات الكثيفة. ولبثت جينى مكانها لبضع دقائق تنظر إلى مكان تواريه، مقطبة حاجبيها فضولاً. خيل إليها أنها لاحظت شيئاً فى تصرفاته يختلف عن بقية الأيام وكأنه كان فى أوج سعادته لسبب أو لآخر.

استحمت جينى ثم ارتدت ملابسها بتأن ولم تخطط للقيام بأى عمل هذا الصباح وقررت الاستمتاع بهذا النهار الرائع. كانت مقتنعة أن الوقت لم يحن بعد لدرس آخر فى الأسبانية مما يتيح لها الخروج للتنزه أن وجدت النشاط الكافى لقيادة السيارة التى اشترتها حديثاً.

فى أثناء تناولها الافطار لاحظت أنها لم تزل تتساءل عن أسباب سرور أنطونيو ورأت نفسها تسأل عمها عن الاصطبل الذى يحتفظ فيه أنطونيو بجياده. لم تتنبه للصمت الوجيز، لكن المعبر الذى واجه به سؤالها لكنها التقطت إيماءه دونا صوفيها فى اتجاه زوجها الذى هز رأسه مما أثار فضول جينى فنظرت إليهما الواحد تلو الآخر ثم سألت:

«لا أظن أن المكان بعيد. لا تنسى أننى أملك سيارة الآن».

ورمق رفائيل زوجته ثم قال:

«المكان قريب ولكن أيتها الطفلة جينى هل تريدين قطع تلك المسافة لمجرد رؤية الخيل؟».

واتضح لها أنه يحاول ثنيها عن قرارها وتساءلت عن دوافعه فنظرت إليه نظرة متسائلة وقالت:

«لا أمانع أبداً يا عمى رفائيل. كنت أنوى الذهاب لرؤية جياد أنطونيو وقد دعانى مراراً إلى مرافقته وقد خرج باكراً هذا الصباح ولم يكن فى وسعى ذلك».

وازدادت علامات القلق على وجه رفائيل الطيب وكان متلهفاً أن يقنعها ثم مد يده وغطى يدها بأنامله اللطيفة وقال:

«لربما خرج يمتطى جواده فى الحقول ولن تجديه. من الأفضل أن تنتظرى متى يرافقك هو بنفسه».

وخاطبت دونا صوفيا زوجها بالأسبانية وبصوت خافت ولم تلتقط جينى من كلامها سوى لفظة «خطيبة» وقفز قلبها فجأة وتأكدت أنها يبست المعنية بكلمة «خطيبه» وعادت إلى ذاكرتها «الآنسة».

وزاد فضولها فرمقت عمها بثبات وسألته بصوت هادئ:

«هل ينزعج أنطونيو أن ذهبت. يا عمى رفائيل؟».

رمق زوجته مجدداً قبل أن يجيب وأدركت أن سؤالها أحرجه. لكنه سألها:

«ولماذا ينزعج؟».

وأدركت صحة تكهناتها لأن عمها لم يستحب قط فكرة لحاقها به مما يعنى أن أنطونيو برفقة امرأة هناك. لم تكن تبالى للأمر لكنها شعرت أن لاحق له بأن يطالبها بالزواج وهو يقابل نساء أخريات. ويحق للخطيبة أن تستاء من هذا الأمر وأن لم تكون سوى خطيبة مجبرة.

وقالت مخاطبة عمها بصوت هادئ ومن دون أن تنظر إليه:

«لقد ظننت أنه ذهب ليركب الخيل بمفرده لكنى أدركت الآن أنه قد لا يكون بمفرده».

ثم رمقت عمتها صوفيا لاعلامها أنها هى مصدر معلوماتها ثم ابتسمت بمكر:

«من الأفضل أن تعلمى أن ما علمنى أنطونيو من الأسبانية. فهم كلمة... (خطيبة)».

ورمق رفائيل زوجته معاتباً ثم صاح:

«أهاه ولكنك أنت الخطيبة يا جينى».

لكنى جينى هزت رأسها ببطء وقالت:

«قد أكون خطيبة أنطونيو فى نظرك أنت يا عمى لكنى متأكدة أنى لست خطيبة فى نظر دونا صوفيا».

ورمق زوجته من جديد ثم رأته جينى يستسلم للأمر الواقع برغم محاولته اقناعها مرة أخيرة إذ قال بصوت هادئ لكن بعينين قلقتين:

«أنت على خطأ يا جينى».

ولاحظت جينى ابتسامة الرضى على ثغر دونا صوفيا فيما رحلت تنظر إلى زوجها وقد سرت لكشف النقاب عن الأمور وانتظرت من زوجها أن يفسر المسألة كيفما استطاع. وكان مرتبكاً وتشابكت يداه وبحث جاهداً عن الكلمات المناسبة. وبدا تعيساً جداً حتى أن جينى أحست بالشفقة عليه وقال أخيراً بصوت ناعم:

«من الصعب القول، يا جينى».

لكن دونا صوفيا كانت أقل تحفظاً فقالت لجينى وعيناها الداكنتان تومضان:

«لا يصعب قول الحقيقة. يركب ابنى الخيل مع الآنسة ماريا غازاريس»

وكان الرضى يفيض من ملامحها وتابعت:

«وكان من المقرر أن يتزوجها أنطونيو لولا وقوفك عارضاً فى وجهه أنت والحقوق التى سلبتها منه».

«آهاه... فهمت الآن».

تأوهت جينى. واتضحت الأمور لها وأن لم يخف تعقيدها.

«بات ابنى الآن مرغماً على تزوجك من أجل استعادة ما هو ملكه شرعاً».

وقاطعتها جينى بحماسة:

«لن يحصل على حصتى أبداً. لقد رفضت الزواج منه».

صدمت جينى لاطلاعها على طبيعة العلاقة التى تربط أنطونيو بالآنسة غازاريس على رغم أنها توقعت شيئاً هائلاً. لكنها لم تتصور أن الأمر جدى إلى حد الخطبة كما ادعت دونا صوفيا واضحاً أنها تفضل أن يتزوج ابنها الفتاة الأسبانية ولن يمر أبداً ببال دونا صوفيا لومه على رغبته فى الزواج من امرأة من أجل استرجاع حصته ليس غير.

وسألتها دونا صوفيا وكان سؤالها فى غاية التعقل:

«وكيف له أن يستعيد ما هو ملكه شرعاً أن لم يتزوجك، إلا أظنك مستعدة أن تتنازلى له عن حصتك؟».

«لا أنوى التخلى عما تركه لى جدى. ولا أنوى الزواج به يا عمتى صوفيا».

اجتاحت دونا صوفيا موجة من الغضب الشديد حتى ظنت جينى أنها ستقدم على ضربها وأوشكت أن تهجم عليها لكنها قبضت على يديها بكل قواها ورمقتها ثم قالت بصوت بارد:

«سوف يتزوج إذن من ماريا غازاريس ويضع حداً لهذه المهزلة برغم حرمانك له من حقه».

وخاطبها رفائيل بصوت خفيض:

«لا تصدقى أيتها الطفلة جينى. أرجوك أن تتفهمى».

ثم ضغط على أناملها ورمق زوجته بقساوة لم ترها جينى من قبل.

ثم قال لزوجته بلهجة قاسية وعينين تحذرانها من مغبة المتابعة فى الاستفزاز:

«كفانا يا صوفيا. لم يكن هناك اى وعود أو خطبة وأنت تعلمين ذلك».

لكنها الحت وقد شوهت الخيبة ملامحها الداكنة وقالت:

«أنت مخطئ كان أنطونيو مقدماً على الزواج من ماريا لولا وجود هذه...».

«صوفيا!!».

صرخ بها رفائيل وقد تحول إلى رجل مثير للرهبة على غرار ابنه أنطونيو لكثرة غضبه ونظرت إليه جينى تكاد لا تصدق ما تراه. لكن سرعان ما تلاشى غضبه وهز رأسه حزيناً ثم التفت نحو جينى وأمسك بيدها بين يديه يود اقناعها وقال بصوت رقيق:

«لم يثر قط موضوع الزواج بينهما يا جينى. ولم يكن أنطونيو راغباً فى الزواج من ماريا غازاريس».

وابتسمت جينى ابتسامة حزينة ثم هزت رأسها.

«أنا آسفة يا عمى ولكنى أميل إلى تصديق عمتى صوفيا فى هذه الحال. لقد عدل أنطونيو عن رأيه حين ورث الحصة فى المصنع».

«كلا. كلا أيتها الطفلة».

ونظرت إليه بثبات وقد تعرفت عيناها على الحقيقة التى كان يجهد فى رفضها وقالت بصوت ناعم:

«عمى لقد قلت لتوك أن هذا ما أراده جدى. وأنطونيو لا يخفى كونه راغباً فى الزواج منى لاسترجاع حصتى فى المؤسسة فقط. لا أخادع نفسى حول نوايا أنطونيو لكنى لا أريد الزواج منه أبداً فإذا أراد ماريا غازاريس أو أية إمرأة غيرها فلا مانع عندى».

«آه يا جينى أنك تصورين الأمر وكأنه غاية فى...».

«الوصولية. أجل يا عمى وهو ما يردعنى الموافقة ويروعنى حتى مجرد التفكير فيه».

وأجابها بصوت رقيق:

«كل ما يريده أنطونيو هو تحقيق رغبات جده».

لكنها هزت برأسها من جديد وقالت:

«ربما. لكن بعض آراء أنطونيو تعود إلى القرون الوسطى يا عمى رفائيل أما آرائى فلا».

ثم ابتسمت حزينة وحاولت اقناعه مرة أخيرة بصواب رأيها وقالت:

«لو اقتصر الأمر على تلبية رغبات جدى لما عارضته بهذه القوة لكن أنطونيو لا يعطى وزناً لأمنيات جدى بقدر ما هو مصمم على استرجاع حصتى فى مؤسسة فرنسيسكو وابنه. وهو لن يحصل عليها أبداً».

٤ ـ لا للخيل

بدا أن نزهة أنطونيو وماريا غازارس قد عكرت مزاجه وتساءلت جينى حول طبيعة الأحداث التى ساهمت فى أحداث التبديل هذا.

لربما انزعجت «الآنسة» من قرار حبيبها الزواج من امرأة أخرى وكان من الصعب على جينى أن تلومها نظراً إلى ظروفها الحالية. وكانت متأكدة من أن أنطونيو مغرم لاقناعها بكلام دونا صوفيا وعلى رغم تكذيب عمها. وبعد أن علمت بهوية الفتاة الأسبانية أرادت أن تعرف المزيد عنها. وقد استبعدت أن يتكرر ذكرها بعد المشهد العاطفى الذى جرى حول مائدة الافطار ولن يتجرأ أحد بالطبع أن يتطرق إلى الموضوع ذاته على مسمع من أنطونيو لكن هذا لم يمنعها من الشعور بالفضول الكبير.

كانت دونا صوفيا ترغب فى توطيد العلاقات بين ابنها وماريا غازاريس. وبات عليها الآن هى أيضاً الخضوع لرغبات ابنها الجشعة وأحست جينى بالمودة حيالها هذه المرة. وفى الصباح التالى هبطت جينى السلم لتناول الافطار والتساؤلات تجول فى ذهنها. هل ذهب اليوم أيضاً أنطونيو لركوب الخيل برفقة المرأة

نفسها أم لا؟ لم تشاهده اليوم فى أثناء خروجه لكنها نادراً ما كانت تحظى به إذ كان يخرج قبل الإفطار فى وقت مبكر جداً ثم يعود بعد نحو ساعتين.

لكنها رأته هذا الصباح جالساً إلى الطاولة البيضاء فى ظل أشجار النخيل برفقة عمها ودونا صوفيا. ونهض مبتسماً لما رآها.

وتمتمت محيية اياهم بعد أن رحبوا بها بالأسبانية وساعدها أنطونيو على الجلوس ثم عاد إلى مقعده.

أحست جينى بالارتباك لوجود أنطونيو هذا الصباح ولم تكتشف السبب ولم تفوه إلا بالقليل. لكنها نظرت إليه مندهشة عندما وضع إناء العسل أمامها وابتسم وقد سر لدهشتها ورفع حاجبه بفضول ثم سألها بصوت رقيق:

«تحبين العسل عادة أليس كذلك؟».

أومأت برأسها إيجاباً.

ثم تابع قائلاً:

«ويبدو عليك كأنك فى حاجة إلى تناول بعض الحلوى اليوم يا جينى».

امتعضت لتلميحه هذا لكنها أبت خوض جدال مع أنطونيو ولم يكن النهار قد ابتدأ بعد فتناولت إناء العسل وهزت رأسها شاكرة ثم قالت بصوت بارد:

«يا للباقتك يا أنطونيو. شكراً».

وأدركت أن عمها ودونا صوفيا قد أحسا بانشغال ذهنها وكان عمها هو البادئ فى التعبير عن قلقه حالها فسألها:

«هل أنت بخير يا جينى؟».

فابتسمت تطمئنه وقالت:

«إنى بخير. بكل خير. شكراً يا عمى»

«تبدين وكأنك مشغولة البال».

وحاول إيجاد الكلمات الضرورية للتعبير عن نفسه لكن يديه عبرتا عن عبث هذه المحاولة فابتسم من جديد غير أن أنطونيو قاطعها، قبل أن يتهنى لها معاودة حديث عمها وقال مخاطباً والده:

«خلقها ضيق يا أبى. هل استعملت اللفظ الصحيح يا جينى؟».

لم تستطع تفادى مجابهة تحدى عينيه السوداوين فسارعت إلى الدفاع عن نفسها من دون تردد وقالت:

«لست ضيقة الخلق. ولقد ظننت أنك لا توافق على استعمال الألفاظ العامية».

قاوم نظرها لبعض الوقت ثم ضحك ضحكة عذبة وكأنه يستمتع بفكاهة دفينة وراح ينظر إلى خديها وقد احمر وإلى عينيها البراقتين تلمعان. ثم قال لها بصوت رقيق:

«امتنع عادة عن استعمال العامية بداعى حسن السلوك لكننى من وقت إلى آخر...».

وقاطعته جينى بسرعة:

«أحسبك لا تعتبرنى جديرة بالمعاملة اللبقة».

ورأت يد الوالد تكتف يد الابن محذرة. وتكلم رفائيل متوسلاً بلطف:

«طونيو».

وتفحصها مجدداً بعينيه السوداوين ثم هز رأسه وقال بصوت عذب:

«سأتوقف عن مضايقتك اليوم خصوصاً أنك لست فى أحسن حالاتك يا ابنة العم الصغيرة، أعذرونى».

وتابع تناول افطاره لبرهة ثم نظر إليها مجدداً ورفع حاجبه وسألها:

«هل تنوين دراسة الأسبانية هذا الصباح؟».

ورفعت جينى كتفيها غير متلهفة أبداً للانزواء برفقته لساعة أو أكثر فى المكتب ولاسيما فى هذا الظرف. كانت واثقة من أنه إذا ما بالغ فى تأنيبها فسوف تتطرق إلى موضوع ماريا غازاريس.

وقالت له بصوت أفهمه تماماً ما يخالجها من شعور:

«إن شئت فنعم».

فعقد حاجبيه. ثم قال لها باقتضاب:

«أنك المستفيدة الأولى من تلك الدروس. فإن كنت ترغبين فى البقاء فى مستنقع الجهل فإنى لا أستطيع اجبارك على التعلم».

صمت لوقت قصير وكأنه مندهش لعدم مبالاتها ثم أعاد النظر فى المسألة وعرض عليها قائلاً:

«هل تفضلين الذهاب فى السيارة لمشاهدة الجياد. لقد وعدتك منذ زمن بمرافقتك لرؤيتها».

وسرعان ما ساورها الشك فى دعوته هذه التى أتت بعد اطلاعها على هوية رفيقة وارتابت لدعوته لها فى هذا اليوم بالذات. ولم يفتها تبادل النظرات السريعة بين عمها وزوجته وتساءلت عن معناها وسألته:

«هل ترغب فعلاً فى مرافقتى؟».

ورمقها متعجباً:

«بالطبع. ألم أعرض عليك مرافقتك من قبل؟».

وأدركت أنه جاهل لمعرفتها بوجود ماريا غازاريس وللقائه بها أمس وكان من الواضح أنه لو لم يتوقع عدم رؤيتها اليوم لما عرض عليها أن ترافقه. وأدركت أنها قد استرسلت فى تأملاتها لوقت طويل ورأته يرمقها بفضول متسائلاً حول أسباب ترددها. وقالت له:

«هذه هى المرة الأولى التى تشدد فيها دعوتك. كنت أتساءل هل كنت...».

وانتبهت بصورة خاطفة إلى القلق الذى ظهر على وجه عمها فهزت رأسها وأضافت بصوت مبهم:

«لا شئ...».

سمعت أنطونيو يتنهد بعمق ثم رمقها بثبات وهز رأسه ثم قال:

«لا أفهمك. لماذا تستغربين دعوتى لك اليوم؟».

عجزت جينى عن إيجاد جواب يمكنها من تفادى الخوض فى تفسير طويل ومربك فاكتفت برفع كتفيها وتابعت تناول الافطار مدركة أنه يراقبها وقد نفذ صبره. ووافقت أخيراً قائلة:

«لا أدرى».

ورمقته ثم لعقت بعض العسل عن شفتيها بأسلوب استفزازى ولاحظت أن عينيه السوداوين إزداد لمعاناً لرؤيتها وكأنها رأت أمامها شيئاً لم تفهمه كلياً لكنه جعلها ترتعش. وتنهد من جديد وقال بصوت رقيق:

«أترك لك الخيار. أما أن تتعلمى الأسبانية أو تأتى لمشاهدة الخيل».

فقالت له وهى تلعق أصابعها وترمقه بطرف عينها:

«أفضل مشاهدة الخيل. شكراً».

وتساءلت عن سبب اضطرابها بهذا الشكل اليوم ثم أضافت بصوت ناعم:

«آمل ألا يربكك قدومى».

واتضح لها أن رفائيل قد فهم قصدها كل الفهم ورماها بنظرة معاتبة انتبه لها ابنه أيضاً وسألها مستغرباً وقد نفد صبره:

«أرياك!! وكيف لك إذ تريكيني يا جيني؟».

أحست وكأنها في سجن عينيه الداكنتين تحدقان فيها فعضت على شفتها فيما نظرت إلى رفائيل متوسلة مساندتها:

«كنت أعني...».

ورفعت كتفيها يائسة حين أدركت أنها لن تلقى عوناً من عمها ثم صاحت:

«لا أهمية لذلك. حتى أنت لا تستطيع أن تكون فاقد الحس إلى هذا الحد».

نظر إليها أنطونيو طويلاً وقد ضاقت عيناه حتى أحست بخفقات قلبها تتسارع وقال لها بصوت لطيف ثم رمق أباه:

«أظن أنك ستوضحين قصدك يا جيني. لكن فيما بعد وفي غير هذا المكان».

وكان رفائيل يهز رأسه قلقاً ونظر إلى كل من جيني وزوجته قبل أن يتكلم قائلاً:

«طونيو... جيني تعني أن...».

فقاطعه أنطونيو بسرعة وقد تابع التصديق في جيني:

«لا عليك يا أبي لدي أسلوبي الخاص لمعرفة قصد جيني».

ثم أضاف شيئاً بالأسبانية لم تفهمه وضحك ضحكة ناعمة عندما انتبه إلى دهشتها المشككة. ثم نهض متمتماً عذراً وانحنى في اتجاهها فوق الطاولة حتى اقترب وجهه الأسمر من وجهها وقال:

«إن تعلمت الأسبانية بسرعة تمنى لك فهم ما أقوله عنك يا عزيزتى الصغيرة».

وضحك من جديد وأحست بنفسه الدافئ يداعب ثغرها...

لم تستغرق الرحلة إلى الاسطبل مدة طويلة لكن جينى استمتعت بها على رغم مشادتها مع أنطونيو وارتيابها لتوقيت دعوته لها. أدركت أنه سيطالبها عاجلاً أم آجلاً بتوضيح قصدها من التلميحات المبيتة التى بدرت عنها والمتعلقة بماريا غازاريس وبانعدام الاحساس فيه.

كانت قد زارت بعض الاماكن منذ وصولها ولكن أقل مما رغبت فيه وكانت دائمة الافتتان بالريف الأسبانى وتحب رؤية كروم العنب الشاسعة التى كست التلال بلونها الأخضر المتناقض مع لون أشجار الذيتون الرمادى. وتناثرت مجموعات من المبانى البيضاء وسط خضار الطبيعة. وسحرتها القباب التى تناطح السحاب.

وأطلت عليها عند منعطف مجموعة من البيوت البيضاء القديمة ذات السقوف المصنوعة من الطين وأعجبت بهندستها قبل أن تدرك أن الفقر لا الحس الهندسى هو الذى أضفى عليها بساطتها. لكن الفقر هذا لم يكن ليحول دون احساسها بالسعادة لرؤيتها باب منزل يتوهج فى نور الشمس الساطعة أو أزهار خبّازى حمراء تقاوم بعزم حرارة الشمس الأسبانية المحرقة.

وقد سحرتها رؤية الأطفال الممتلئ الأجساد، السمر البشرة، وأنصاف العراة أكثر من أى مشهد آخر. يلهون على جنبات

الطريق المغبّر ويلوحون بغبطة تامة لرؤيتهم السيارة وتبتسم عيونهم البراقة السوداء بمودة لدى رد جينى التحية.

«هل تحبين الأولاد؟».

فوجئت جينى بالسؤال ولم تكن تتوقعه وأحست باحمرار خديها فيما حاولت فهم سبب ارتباكها. ظنت أن لسؤاله طابعاً شخصياً.

ووافقت قائلة:

«أحب أولئك الأطفال السمر... فهم كالدمى».

وسألها مبتسماً:

«ألا يشبه الأطفال الانكليز الدمى أيضاً؟».

وهزت برأسها موافقته ثم قالت:

«بعض الشئ. لكن نظافة مظهرهم المتناهية ولونهم الزهرى لا يشجعان المرء على حملهم ومداعبتهم».

ثم نظرت إلى مجموعة أخرى من الوجوه الصغيرة ولوحت بيدها وقالت:

«لست أدرى ولكنى أحس برغبة فى مداعبة أولئك الأطفال أكثر من رغبتى فى تنظيفهم، أنهم رائعون».

وسمعت رنين ضحكته الناعم والعميق فانزعجت ورمقته بفضول وبعض شك لكنه قال بصوت رقيق:

«إذن ها قد وجدت أخيراً شيئاً تحبينه عندنا. حتى ولو اقتصر الأمر على أولئك الأطفال القذرين».

ودافعت جينى عن نفسها غريزياً وقالت:

«هذا غير صحيح. لم أقل قط أن هناك أشياء لا تعجبنى فى بلدكم».

«أهاه... إذن أنت تحبيننا».

انزعجت لابتسامته وأدركت أخيراً أنه كان يحاول إثارة رد فعل غاضبة لديها. وبدا وكأنه يسرّ أحياناً لفقدانها السيطرة على أعصابها وإن كان يستاء حين تبالغ فى استفزازه. وقالت:

«إننى أحب البلد وأهله».

نظرت إليه بطرف عينها وتابعت بصوت رقيق:

«إلا البعض من أهله بالطبع».

ورمقها ثم قال:

«أهاه، وأنا المستثنى».

ردت بالايجاب:

«نعم. معظم الوقت».

ثم التفتت اتجاهه متحدية وأضافت بسرعة.

«لا تدّع أنك لم تتوقع منى أن أقول هذا. لقد كنت تحاول استفزازى يا أنطونيو كعادتك».

وضحك فتوهجت أسنانه الناصعة البياض وسط ملامحه الداكنة والصقرية ثم هز رأسه:

«إننى مخطئ بتصرفى هكذا يا جينى أليس كذلك؟».

فأجابته بعد أن رمقته بطرف عينيها:

«أنت لست عادلاً».

لم تكن واثقة من فهمها لطرافة مزاجه فى هذه اللحظة وبدأت تتساءل عن صحة قرارها مرافقته. وكان يملك القدرة على ارباكها أكثر من أى شخص آخر عرفته فى حياتها ولم تكن مرتاحة أبداً لوجوده معها فى هذه اللحظة. وسألها بصوت ناعم:

«وكيف لى أن أجعلك تبدلين رأيك فىّ يا ابنة عمى الصغيرة؟».

ونظرت إليه مجدداً مندهشة بعض الشئ، ثم أجابت:

«وهل يهمك فعلاً أن أغير رأيى فيك؟».

«أفضل لو أقدمت على الزواج منى وأنت تكنين لى بعض المودة فى الأقل».

وصعقت جينى لصراحته وانقبضت يداها فيما راح قلبها يخفق ذعراً وابتعدت عنه لا شعورياً. كانت وكأنها نسيت أنه مصمم على الزواج منها إذ كانت مصرّة منذ البارحة على اعتباره عشيق ماريا غازاريس. وكانت تتساءل بقلق عن أسباب قبولها المتزايد للفكرة هذه.

وراحت جينى تراقب ذراعيه العاريتين والقويتين وكفيه السمراوين وقد أمسكتا بالمقود وكأنه بيستخف للآلة الجبارة التى يقودها. وكأن سحره القاسى يحرّك فيها أشياء خفيه تربكها على رغم شعور متأصل فيها بعدم الوثوق به .تمنت لو استطاعت أن

تكون أقل انفعالاً وأن تتعاطى مع ملاحقته الضاغطة عليها بموضوعية أكبر.

وقالت محاولة السيطرة على ارتعاش صوتها:

«أظن أنه سبق لى أن عبرت عن رأيى فى الموضوع بوضوح تام. لن يتم أى زواج بيننا يا أنطونيو أو بالأحرى لن نتزوج نحن الاثنين».

وظنت لوهلة أنه اندهش لجوابها وما إن تكلم حتى أدركت السبب:

«هل تجنين شخصاً آخر. هل هناك رجل ينتظرك فى انكلترا؟».

أغراها للحظة أن تكذب عليه للتخلص منه لكنها تذكرت أنها كانت قد اعترفت له من يوم وصولها أن لا ارتباطات جدية لها فى انكلترا. ومن الصعب أن يكون قد طرأ أى تغيير على ذلك فى أثناء مكوثها فى أسبانيا. فوافقت ولو على مضض وأجابته.

«كلا. لا رجل فى حياتى».

«عظيم».

«ليس مهما إن كان فى حياتى رجل أو لا».

وابتسم وكأنه فاته تشديدها العفوى على لفظة «أنا».

والتفتت نحوه فلاحظت كيف أضفى نور الشمس القوى على ملامحه الصقرية طابعاً قاسياً وجاداً ولّد لديها خوفاً وبهجة فى الوقت نفسه من دون أن تدرك السبب. واستدار للحظة فى اتجاهها وقد سطعت عيناه وقال لها بصوت رقيق:

«هذا مهم بالنسبة إلىّ أيتها الطفلة الصغيرة. إذ لا أحب ضرّ رجل فى خطيبته فهذا أمر غير لائق».

وانكمشت يدا جينى بقوة فى حضنها وحدقت غاضبة فى وجهه الداكن والمتعجرف وقد ومضت عيناها وصاحت به:

«إن تحاول جبرى على الزواج أفهذا أمر لائق فى نظرك؟ يا لغرابة مفهوم اللياقة عندك يا أنطونيو».

وابتسم لحظة وكأنه لم يحمل احتجاجاتها على محمل الجد وقال لها بصوت من اعتاد على السلطة المطلقة:

«أهاه... اعتراضك ليس إلا بداعى المشاكسة النسائية. لا أرى أى سبب آخر وراءه».

وذهلت للهجته لكنها أجابته وقد قررت زعزعة ثقته بنفسه بأى ثمن:

«الأمر هو أننى لا أحبك».

لكنه راح يبتسم ويهز رأسه مجيباً بكل ثقة:

«إننى لا أصدقك».

حدقت به جينى وصاحت:

«أنطونيو...».

لكنه قاطعها بلطف قائلاً:

«ألا تظنين أنه حان الوقت لأن تنادينى كما تفعل عائلتى؟ وطونيو هى المرادف لطونى بالانكليزية فهى حميمة أكثر من لفظة أنطونيو».

وأومأ بيده محملاً كلمته الحميمة أبعاداً كثيرة حتى أحست باحمرار خديها وقال لها بصوت ناعم:

«تنوين استعمالها أليس كذلك يا جين؟».

وقالت جينى لاهثة:

«لا لن أفعل. لن أقوم بأى عمل لتشجيعك يا أنطونيو».

وهز رأسه الداكن ببطء وهى لم تجد الشجاعة الكافية للنظر إليه وإلا كانت رأت الابتسامة الخفيفة التى شقت ثغره. وسألها بصوت لطيف:

«يا لتصميمك على معاداتى يا ابنة العم الصغيرة. كيف لى أن أعاملك، كيف يمكننى كسب مودتك؟».

«فى إمكانك الكف عن الحديث عن زواجك منى وطلب يد الآنسة ماريا غازاريس عوضاً عنى».

وعضت جينى لتوها على شفتها عندما أدركت أن تهورها رمى بها فى داهية.

كان من الواضح أن تصريحها فاجأه، لكنه ما لبث أن استعاد رباطه جأشه وعقد حاجبيه ثم قاد السيارة إلى حافة الطريق وضغط على الكابح فجأة وبعنف فارتمت جينى من مقعدها إلى الأمام وصرخت من خوفها.

لم ير أنطونيو أى خطورة فى طريقه إيقاف السيارة بل استدار فى مقعده ونظر إليها بقساوة. وحد ذراعه إلى ظهر المقعد خلفها. وباتت تحس بالعنف الغاضب والمتوتر الذى اجتاحه فيما

حدقت فيها عيناه الداكنتان والبراقتان. كان واضحاً أنه غير راض أبداً عن معرفتها لماريا غازاريس وقد كان فى استطاعتها أن تفهم ذلك. قال:

«إذن، فهمت الآن قصدك من ابدائك كل تلك التلميحات حول عدم رغبتك فى المجئ إلى الاسطبل هذا الصباح. مع من كنت تتكلمين يا جينى؟».

وشرعت جينى قائلة:

«لا حق لك...».

لكنه قاطعها بحركة من يده الضخمة اسكتتها. وسألها بصوت رقيق جداً جعلها ترتعش:

«ماذا تعرفين عن ماريا غازاريس؟».

«اعلم أنك ركبت الخيل برفقتها البارحة».

«وهل يعنيك هذا الأمر؟».

وهزت جينى رأسها وقالت محتجة:

«لا. بالطبع لا يعنينى. وأعرف أيضاً أنك... أو كنت تنوى الزواج منها... وأنك لاتزال تأمل فى تحقيق ذلك».

«من قال هذا؟».

أتى السؤال وجيزاً لكنه زاد من ارتباكها وراحت تحدق فى يدها المتشابكين فى حضنها وقالت مستنكرة:

«لاحق لك فى استجوابى وكأنى مجرمة أمامك».

حبست أنفاسها عندما شعرت فجأة بأصابعه القوية تمتد من ورائها وتمسك كتفها بقوة. وأمرها بلهجة عادية:

«أجيبى على سؤالى. من حدثك عن ماريا غازاريس يا جينى؟».

فأنت تورطت بما لاحق لك. ومع من تحادثت؟».

وحاولت جينى الافلات من قبضته لكن عبثاً وبدأت تحس بالغضب لسؤ معاملته لها فصاحت بحدة:

«دونا صوفيا أخبرتنى. وأترك كتفى الآن. أنك تؤلمنى. يا أنطونيو».

«آه أنها والدتى إذن!».

لم يرخ قبضته وحاولت الافلات من جديد لكنها لم تنجح لضيق المكان فى السيارة. وسألها وكأنه يزدرى جهودها الفاشلة:

«لماذا أخبرتك أمى عن ماريا غازاريس؟ ألم تحرضها أنت على الكلام وذلك بدافع من فضولك».

وثار عنفوان جينى قالت:

«كلا لم يكن بداعى فضولى. لا أهتم أبداً بأصدقائك».

«إذن لماذا؟».

«لأنها أرادت أن تعلمنى أننى خربت مشاريع زواجك من الآنسة غازاريس بحصولى على حصة جدى من المؤسسة».

وكادت أن تبكى لكثرة غضبها. لكنه أعلمها بصوت بارد أدهشتها:

«لم تفعلى شيئاً مما تدعينه».

وأضافت حانقة:

«تلومنى أمك أيضاً لأننى السبب وراء جشمك وهى لا تلومك أبداً أنت بل تريدك أن تتزوج من الآنسة غازاريس وهى تدعى أنك كنت تزوجت منها لولا امتلاكى شيئاً تريده فعدلت».

«وهل فعلت ذلك؟».

وبدأ غير مبال للأمر مطلقاً مما أربك جينى فنظرت إليه ثم قالت بلهجة اتهامية:

«ركبت الخيل برفقتها».

وساءلت نفسها فى صواب النبرة الاتهامية وأسباب سخطها هى التى كانت تعتقد أنها غير معنية بركوبه الخيل برفقته ماريا غازاريس أو غيرها من النساء حتى ولو فعل ذلك كل يوم من أيام حياته. ووافق على كلامها بصوت هادئ:

«نعم ركبت الخيل برفقتها».

ولم تستطع جينى تصديق هدوئه كما أراد الظهور لكنه أضاف:

«لقد عرفت ماريا منذ كنا أولاداً ونركب الخيل معاً أحياناً».

وتفحصتها عيناه الداكنتان بدقة وتمعن مما زاد فى ارتباكها ثم سألها بصوت هادئ:

«انت لا تركبين الخيل يا جينى؟ أليس كذلك؟».

فأجابته بلهجة قاطعة:

«لا أركب الخيل ولكنك لست مضطراً، لأن تفسر لى أى شئ؟».

لكنه قال لها:

«أود تفسير الأمور لك».

ولم ترد جينى لوهلة بل راحت تحدق فى أصابعها المتشابكة وقالت أخيراً:

«أخبرتنى دونا صوفيا أنك كنت تزوجت ماريا غازاريس لولا حصولى على حصة جدى».

والتوت شفته السفلى معبرة عن استخفافه بقولها وقال بصوت هادئ:

«يجب أن تدركى أن لا أحد يستطيع أثنائى عن قراراتى».

«ولكن...».

حدقت فيه للحظة محاولة فهم قصده ومدى تعلقه بماريا غازاريس. فإن كان فعلاً يحبها فمن الصعب أو حتى من المستحيل أن تتصور أنه قاس إلى درجة تجعله يتخلى عنها ويضحى بها من أجل الحصول على ملكية المؤسسة العائلية بكاملها فسألته لاهثة:

«وماذا عن ماريا غازاريس؟».

وحدقت فيها عيناه السوداوان وخيل إليها أن فى استطاعتها قراءة مئات الأشياء فى غورهما وهى أشياء جعلتها

ترتعش ترقباً. ثم قال لها بصوت هادئ:

«عليك الا تكترثى لماريا أبداً. لا دخل لها أبداً بمخططاتنا».

وأصرت جينى:

«أنها مخططاتك أنت لا مخططاتنا».

وقد انزعجت من الأسلوب الذى أصاح به بالمرأة التى أصرت والدته عليه للزواج منها. وقال بصوت هادئ:

«تشملك المخططات يا صغيرتى. فهى إذن مخططاتك أيضاً».

ثم ابتسم لبرهة وزادت نصاعة أسنانه التى توهجت فى دكنة وجهة وأصرت قائلة:

«لكن إذا كنت فعلاً تنوى الزواج من الآنسة غازاريس، وإذا كنت تكن لها المودة فكيف تستطيع حتى التفكير فى الزواج منى؟».

وبانت أسنانه مجدداً من خلال ابتسامته وحدق فيها فيما راحت الأفكار المقلقة تتلاعب بذهنها. وسألها بصوت هادئ:

«ألم تقررى أنت أننى مقدم على الزواج منك للتحكم بحصتك فى المؤسسة».

وهزت رأسها محاولة تنقية أفكارها من البلبلة ثم وافقت قائلة:

«لست أدرى. أخبرنى عمى رفائيل أن جدى أراد أن... أو.

بالأحرى أراد منك أن تتزوجنى حتى تتحد العائلة ولكن آه... لست أدرى....».

ونظرت إليه متوسلة وقلقة وحاولت التكهن بما يجول فى ذهنه وسألته:

«ألا... ألا تريد الزواج من الآنسة غازاريس؟».

وابتسم ابتسامة متأنية ومثقلة بالمعانى زادت من اضطراب جينى.

ثم وافق قائلاً بهدوء:

«لربما كنت تزوجتها فى غير هذه الظروف. لكن القدر أراد غير ذلك. لذا ...».

ورفع كتفيه بحركة تعبر عن المتحدرين من أصل لاتينى عن أكثر مما تعبر عنه الكلمات ونظرت إليه جينى وأحست بدمها يجمد فى عروقها، إذ أيقنت أنه مستعد لأى شئ لنيل ما يريد.

وقالت له بصوت خافت تتهمه.

«ولكن حصل أن ورثت ما تعتبره ملكاً لك وها أنت تتخلى عن الفتاة التى تحبها، أنت مستعد للتضحية بها لأنك لا تقبل أن يمتلك شخص ما تعتبره لك. أنت مهتم بمؤسستك الثمينة فقط. أنك أكثر الناس قساوة و... يا لفظاعتك».

«جينى!».

لم تأبه جينى لتحذيره الرقيق اللهجة لكثرة غضبها. وكانت

فى حال من التذبذب العاطفى لا توصف وكانت تواقة إلى إيذائه ودفعه إلى الاحساس فسألته وقد لمعت عيناها وأحمر خداها:

«أتتخلى عن الفتاة التى تحبها من دون أى تردد وذلك من أجل الحصول على ما تريد؟».

وقال لها أنطونيو بصوت هادئ وهو يحدق فيها:

«لم أقل أننى فى صدد التخلى عن الفتاة التى أحبها. لا أرى ضرورة لذلك. أحب أن أرمى عصفورين بحجر واحد ولم لا؟».

«أنت...».

حدقت فيه لبضع ثوانى ولم تكن فهمت قصده بعد، ثم تراءى لها فجأة ما عناه ونظرت إليه مشدوهة ورفعت يدها إلى ثغرها لصدمتها. وتكهنت بأنه بعد أن يتزوجها، وهى مدركة فى قرارة ذاتها أنها باتت أقل رفضاً للفكرة مع مرور الزمن، ويتحكم بحصتها فى المؤسسة بصفة كونه زوجها الشرعى، سوف... وارتعشت حين تذكرت قدرته على التصرف بقساوة أحياناً، ففى السيارة مثلاً وفى طريقهما من المطار إلى المنزل ثم فى جو المصنع البارد حين لامست أصابعه عنقها لبضع ثوان، كان يضحك فى كل مرة ويقنعها بأنه يحاول فقط اغضابها لكثرة خوفها منه وكانت مستعدة لأن تصدقه ولكن الآن...

وأحست فجأة بأنها وقعت فى فخ هذا المكان المقفر من الريف الأسبانى ولا من أحد ينجوها. ولم يخطر ببالها أنه إذا ما أذاها فى هذه اللحظة فَقَدَ كل ما كان يخطط له ويحث عن

مقبض الباب، وخلا ذهنها إلا من فكرة الفرار، بأسرع وقت ممكن من دون أن تعلم إلى أين.

«جيني».

وكانت صرختة صرخة تعجب أكثر منها غضباً وجاهدت تحاول فتح الباب الدموع تنهمر على خديها لاخفاقها ثم تذكرت أنه من حادثة أيضاً قفل الباب فى أثناء مرافقتها له ففتحت القفل بسرعة وصاح بها:

«جيني توقفي».

وحاول امساك يديها لكنها قاومته بيأس. فصاح من جديد:

«خوانيتا يا الهى هل جننت».

وتطاول فوقها حتى استطاع إعادة أقفال الباب ثم أخذ يديها بين يديه وقبض عليها بقوة أصابعه فيما حاولت جاهدة الافلات منه وقد اعتراها الذعر الشديد. وصاحت قائلة وهى تقشر يدها السجينة محاولة الافلات:

«أتركني... أتركني».

وخاطبها، راجياً، بالأسبانية:

«جيني حبيبتي ماذا تحاولين أن تفعلي؟

يا للهول ما بك؟».

ولو لم تكن فى حالة من الذعر الشديد لأرشدها استعماله

للغة الأم إلى قلقه العميق لكنها استمرت عبثاً فى محاولتها الافلات:

«أتركنى أرجوك أن تتركنى».

وسألها:

«ولكن يا صغيرتى ما الذى تفعلين؟».

امتلأت عيناه السوداوان لطافة كما لم ترهما قبلاً فيما راحت يده السمراء الضخمة تداعب ذراعها وتدفع بخفقات قلبها نحو الشارع المجنون ليس خوفاً هذه المرة.

«ما يدفع بك إلى الهرب فجأة يا صغيرتى؟».

وساهم صوته العميق والرقيق ويده العذبة على ذراعها ونظرة اللطف العميقة فى عينيه فى التخفيف من ذعرها لكنها ولدت فيها احساسات أخرى أكثر اضطراباً ونظرت إليه بعينين زائغتين وعضت على شفتها للحظة قبل أن تستطيع إجابته بصوت خافت:

«كل ما أريد هو الابتعاد عنك. أننى خائفة».

«خائفة؟».

نظر إليها بثبات للحظة ثم هز رأسه وكأنه نادم بعض الشئ وعاتب أيضاً وقال لها بصوت ناعم.

«إذن مازلت تظنين أننى أنوى إيذاءك؟ يا لك من مجنونة!».

ورأى الخوف يفيض من عينيها فهز رأسه وأمسك يديها بلطف بين راحتيه الكبيرتين الدافئتين. وبدأت جينى تقول له:

«أرجوك».

لكنه تابع يهز رأسه وسألها بنعومة:

«ماذا ظننت أنني سأفعل بك؟».

وتساءلت للحظة عما إذا كان يلعب معها لعبة القط والفأر لكن لطافة يديه ونعومة صوته أشارتا إلى عكس ذلك إذ دخلتا من القساوة أنني ظننت أنها رأتها فيه بعض المرات وهزت رأسها فيما علق نظرها على النبض الخافق فى أسفل عنقه الأسمر وسألها بلطف قائلاً:

«كيف لى أن أقنعك أننى لن أؤذيك». ثم ابتسم وتابع: «لابد من إيجاد طريقة أليس كذلك يا جينى؟».

وهزت رأسها فيما أحست بنبض يخفق عند صدغها ينذرها بأحاسيس لا يمكن تجاهلها وقالت:

«أتمنى. أتمنى لو...».

لكنها لم تستطع اكمال الجملة إذ انحنى فجأة نحوها والتصقت بمقعد السيارة. وانزلقت ذراعاه حولها تشدانها إلى صدره الرحب فيما حاول معانقتها.

رغم أنها اضطربت للطف حركته الأولية ثارت غريزتها لمنف محاولته معانقتها فقبضت بيديها تلقائياً على صدره ثم فتحت أناملها وأحست بخفقات قلبه من خلال القميص الرقيق لكن على رغم تجاوبها معه عاودها بعض من حذرها القديم وضغطت

براحتيها المفتوحتين على الجسم الدافئ الذى بدوا كأنه يغلفها وابعدت فمها عنه وحبست أنفاسها ثم أغمضت عينيها لتفادى مشاهدة اللهفة التى ملأت عينيه السوداوين وملامحه الصقرية.

وراح ينظر إليها مشدوهاً فيما تابع امساكها بين يديه فلم تتمكن من الافلات من تلك اللمسة المتوترة وكان قلبها يخفق بسرعة مجنونة حتى كادت تتقطع أنفاسها وأعجب ما فى الأمران أنطونيو لم يلاحظ كل هذه الأمور بل اعتد صدها المفاجئ دليلاً على برودتها وعدم تجاوبها معه.

فنظر إلى ملامحها الدقيقة والناعمة وقد أغمضت عينيها للحظة ويداها على صدره وكأنها تحاول ابقاءه بعيداً عنها ثم همس:

«يا لك من امرأة خجولة، لماذا تتصرفين وكأنك أصغر المخلوقات وأكثرها خجلاً يا جينى؟ لا أصدق أنك مازلت تخافين منى أيتها الصغيرة؟».

وجاهدت جينى لالتقاط أنفاسها وهمست بسرعة:

«أرجوك... لا أستطيع».

وسألها:

«ألا تحبين المعانقة، هل هذا هو السبب؟».

وقبل أن تتسنى لها الاجابة عاود معانقتها بلطف ثم ابتسم وقال وهو يحدق فى فمها:

«عليك تعلم الكثير يا جينى. ولكن لا تخافى فسأعلمك...

ساعلمك».

أحست جينى وكأن تياراً يجرفها وأسوأ ما فى الأمر أنها بدأت تميل أكثر فأكثر إلى الاستسلام فى حالات مماثلة. وقررت الا تتجرف من جديد فحاولت دفعه بعيداً عنها وفوجئت به يبتعد عنها ويعود إلى مقعده. لكن الابتسامة لم تفارق ثغره وبرقت عيناه السوداوان فيما مرر يده فى شعره الكثيف الأسود. وكما قال من قبل فهو لا يدع أحداً ولا أى شئ يحول دون تحقيقه رغباته. وقالت له جينى بصوت خافت:

«أفضل... أود العودة أرجوك أنطونيو».

وجلست ويداها فى حجرها محاولة اسكات ارتجافهما. واستدار ونظر إليها لبرهة بيد أنها تفادت نظره ثم قال بلطف:

«أننى أقوم بمرافقتك لمشاهدة الخيل أيتها الصغيرة».

واكتفت جينى بالإيماء إيجاباً من دون أن تتكلم محاولة تجاهل ابتسامة الرضى التى لم تفارق ثغره فيما أطلق عنان السيارة من جديد.

وأحست جينى أن لا جدوى من مقاومة إرادة حديدية لا تقهر كارادة أنطونيو فرنسيسكو.

٥ ـ على ظهر «العاصى»

أدركت جينى أن محاولتها تعلم كل أساليب تصنيع العصير ومراحله مسألة تتخطى طموحاتها خصوصاً بعد أن علمها أنطونيو أن العصر بكامله قد لا يكفى لذلك، لكنها زارت المعمل مرات عدة برفقة أنطونيو أحياناً وبرفقة عمها أحياناً أخرى حتى باتت الآن تملك بعض المعلومات الأولية تخوّلها ابداء اهتمام أذكى من قبل، وتابعت حضور دروس الأسبانية إكراماً لعمها الذى بدا متلهفاً لتعلمها اللغة لكنها رافقت أنطونيو إلى الاسطبل أيضاً أربع مرات أو خمساً بعد الحادثة المذكورة. لم يفارقها حذرها منه لكنها اقتنعت بأنه لا ينوى إيذاءها جسدياً لكن كان عليها الحذر باستمرار من نواياه فى الزواج منها.

كان النهار حاراً ومشمساً وشعرت جينى بالكسل وقد اكتفت بحساء بارد أثناء الغداء التقليدى المتأخر. وقد أنعشها الحساء المصنوع من الخضر والذى يقدّم بارداً وأدركت أنها باتت تحب كثيراً هذا النوع من الأكل. وقد مضى شهران ونصف على قدومها إلى أسبانيا وأحست بأنها تكيفت مع البلد أكثر مما كانت تتصور.

كانت تشتاق بالطبع أحياناً إلى مناخ الصيف الانكليزى البارد والمنعش وإلى أصدقائها هناك، لكن لم يكن لديها الوقت الكافى لتحنّ للعودة إلى الوطن لكثرة انشغالها ونشاطاتها. وقد ارتاحت لرفقة أنطونيو فى الأسبوعين الآخيرين أكثر من ذى قبل وهو لم يتطرق إلى موضوع الزواج من جديد. دونا صوفيا وحدها استمرت فى موقفها العدائى والمتشنج وغالباً ما كانت جينى تأسف لانقطاع الاتصال بينهما، الأمر الذى أحزن عمها.

كان جو المكتب الكبير والمشمس حيث تدرس الأسبانية، منعشاً جداً إذا ما قورن بالحر الشديد فى الخارج حين جلست جينى وراء مكتبها الصغير مسرورة. وشرعت تقرأ أو تحاول القراءة فى كتاب أسبانى يتناول موضوع الفن فيما جلس أنطونيو بالقرب من النافذة يتداول بعض أوراق العمل.

وراحت أفكار جينى تختال بعيداً عن عالم الفن خصوصاً حين يكون مكتوباً بالأسبانية ويتضمن الكثير من الكلمات التى لم تفهمها وغالباً ما سرحت نظراتها نحو النافذة المفتوحة بالقرب من أنطونيو حيث تدلت الورود المثقلة بالعطور تحت الشمس المحرقة فملأت الغرفة عطراً.

ولم تكن تدرك أن أنطونيو يراقبها إلا حين سمعت صوته يعيدها من دنيا التخيلات إلى واقع المكتب. وأحست بالذنب بادئ الأمر ثم رمقته للحظة متوقعة أن يؤنبها لاسترسالها فى أحلام اليقظة واستعدت للدفاع عن قلة تركيزها بسبب الجو الحار.

وسألها بالأسبانية، لاصداره على مخاطبتها بالأسبانية فى أثناء الدروس وكانت غالباً ما يفلت منها حبل الحديث فتفقد أعصابها:

«كيف حالك يا خوانيتا؟».

كان جالساً فى المقعد المغطى بالجلد وقد أسند ظهره إلى الخلف يراقبها منتظراً لحظة ارتكابها خطأ وكانت تعرف ذلك كل المعرفة وتحس بنظرة المنصب عليها لا يتركها لحظة وسألها من جديد:

«هل ستتأخرين فى الإجابة؟».

وهزت رأسها محاولة ترجمة سؤاله بأكبر سرعة وشرعت تقول بالانكليزية:

«لا تنتظرنى إذ كنت...».

لكنه ضرب الطاولة أمامه بكف يده محدثاً ضجيجاً مفاجئاً جعلها تقفز من مكانها:

«تكلمى الأسبانية يا خوانيتا. أرجوك».

وصاحت جينى معارضة:

«لكنى لا أستطيع مجادلتك بالأسبانية».

وعبست عاتبة عندما سمعته يضحك. وسألها بصوت هادئ:

«وهل تريدين مجادلتى أيتها الصغيرة؟».

وهزت جينى رأسها ونظرت إلى الكتاب أمامها. لم تكن تخطت الصفحة الأولى بعد وهى الآن على وشك أن تخوض جدلاً معه فقالت له:

«كلا لا أريد مجادلتك».

ورفعت الكتاب تقر به منه ليتسنى له رؤية عدد الصفحات الضئيلة التى قرأتها ثم أضافت:

«لم أتخط الصفحة الثانية بعد وأنى أعلم أنك ستغضب منى ولكن... ولكنى لا أستطيع العمل اليوم لشدة الحر وفى أى حال فالقراءة تبعث على النعاس».

وتنهد أنطونيو عميقاً ثم نهض من وراء مكتبه وتوجه نحو النافذة حيث وقف وأدار ظهره لها ثم مر بيده على مؤخرة رأسه ملتزماً الصمت. كان يرتدى سروالا بلون الظبية وقد التصق بساقيه الطويلتين والمفتولتى العضلات وهو يقف وقميصه الأبيض المعتاد الذى بدا وكأنه بشرة ثانية له كست ظهره العريض وتراءت من تحتها بشرته الذهبية.

ووجدت جينى نفسها تراقبه بوعى لاهف لم تتعوده وتترقب لا شعورياً ملامحه وحركاته المألوفة. وقد شمخ رأسه متعجرفاً واثقاً فوق العنف القوى ولاحظت كيف كان يمرر أصابع يده اليسرى فى مؤخرة شعره الأسود فى المكان الكثيف حيث يقص الشعر فوق ياقة القميص الأبيض وقد سحرها جسمه النحيل القوى والطويل بنعومته وخطورته وتحركاته الشبيهة بتحركات قط كبير.

«جينى».

قطعت حبل تصوراتها وعادت لتجبه نظرة عينيه السوداوين الثابتة. وابتسم ابتسامة طفيفة وكأنه يعلمها بتفهمه لسهوها.

ووقف برهة بجانب النافذة ينظر إليها. ثم قال بصوت لم يحمله مقدار السخط ذاته الذى توقعته:

«لا أظنك قادرة على حفظ أى شئ مادمت مشغولة البال. أرغب فى الذهاب بنزهة إلى سنتران فهل ترافقينى؟».

ولم تكن الزيارة إلا الاسطبل تخلو من المتعة، لكون سنتران تقع فى أجمل بقاع الريف وسط برودة أشجار ظليلة. ورغم أن جينى لم تكن اكتسبت بعد روح المغامرة فقد باتت أقل خشية من الجياد الأندلسية الحادة الطبع التى يملكها أنطونيو ويمتطيها وباتت تتذوق جمالها.

وقالت متسائلة إن كان فعلاً يتوقع أن ترافقه أو أنه عرض عليها المشروع من باب اللياقة:

«تبدو لى الفكرة عظيمة».

ووضعت الأوراق على الطاولة وكأنها تريد إعطاءه الفرصة لتغيير رؤية أن أراد فقالت:

«ألا يفترض بنا أن نعمل؟».

وظنت للحظة أنه لن يجيب عن سؤالها لكنه توقف عن العبوس ورفع حاجبه وعلت ثغره ابتسامة طفيفة وسألها بصوت هادئ:

«هل تعترضين على فكرة إعطائى بعض الوقت للتنزه».

وسارعت فى الهز برأسها وقالت مستدركة:

«كلا. بالطبع لا. بل ظننت...».

واتجه نحوها فيما راح صوتها يتلاشى وأحست بخفقات قلبها تتسارع حين وقف أمامها وقد لفتها قوة حضوره بحزام من الدفء.

وقال لها بصوت تضطرب كلما سمعته فيما حدق فيها بعينيه.

«أنت شريكتي. ظننت أنك تعبت فوافقت على رغبتي في التنزه وقت العمل».

وأوضحت له جيني مرادها:

«لم أفعل ذلك. بل وافقت على الفكرة».

«آه. نعم».

ومدّ يده ولامس خدّها بخفة بطرف أنامله فتسارعت خفقات قلبها واحمرّ خداها وخفضت عينيها متحاشية النظر إليه، وتابع بصوت ناعم:

«أنت تحمرّين كلما لامستك يا يمامتي».

وانسحبت جيني إلى الوراء وأدارت له ظهرها فيما حاولت مقاومة مئات الأحاسيس التي أثارها وقالت له محاولة الظهور بمظهر الغاضب.

«أنطونيو لماذا تحاول دائماً أن تجعلني أتصرف وكأني طفلة غبية؟».

لكن صوتها كان لاهثاً وأحست بيديها ترتجفان فقبضت على أصابعها محاولة السيطرة عليها. وردد كلامها وكأنه فوجئ

باختيارها للمفردات: «طفلة غبية»؟ ثم تنهد من جديد وتأبط ذراعها متوجهاً نحو الباب وقال بصوت رقيق:

«هيا بنا أيتها الصغيرة. قبل أن نغرق في الجدل...».

قاومت ضغط يده لبعض الوقت ونظرت إلى وجهه الداكن مذعنة وسألته:

«أنت تحب اغضابي أليس كذلك؟ أنت تتسلى لرؤيتي أفقد أعصابي».

وابتسم معترفاً بصحة قولها فشدّت على راحة يديها بقوة:

«آه يا أنطونيو هناك أوقات أحس بها أني أكرهك».

وهز رأسه من غير أن يتوقف عن الابتسام وقال لها بكل ثقة:

«كلا يا عزيزتي الصغيرة. أنك لا تكرهينني».

كان على حق وهي تدرك ذلك لكنها لم تكن مستعدة للقبول بهذا الأمر خصوصاً في الوقت الحاضر. وقد كانت تشعر بخليط من العواطف حياله وهي لم تحاول أو هي ربما حاولت قليلاً تفهم الاحاسيس هذه وتحليلها. وقد كانت تدهش بعض الأحيان لردّات فعلها العاطفية حياله وتذعر حيناً. كان مختلفاً عن جميع أقربائها ويمتلك قدرة كبيرة على جعلها تضطرب ولم يكن من السهل التخلص منه أو تجاهله.

وأنذرته قائلة:

أنت سائر على الدرب الصحيح الذي يؤدي بي إلى كرهك».

لكنه هز رأسه من جديد. وقد أزعجتها ثقته المتناهية بنفسه لكن يده واصلت مداعبة ذراعها بلطف فأغمضت عينيها جزئياً للتركيز على الأحاسيس التى ولدتها تلك اللمسة فيما خفق قلبها بسرعة مجنونة.

وقال بسرعة:

«إننى لا أصدقك أيتها الطفلة».

وانتزعت جينى يدها من لمسة أنامله المداعبة فى محاولة أخيرة للتحكم بالموقف وبعواطفها التى خانتها ثم نظرت إليه وقالت لاهثة:

«لن أتزوجك يا أنطونيو مهما حاولت اقناعى بأن هذا هو ما أريد».

وحدق فيها بثبات لوقت طويل حتى هفضت عينيها وقد ركز بصره على ثغرها وكأنه سحر به وقال لها بصوت رقيق:

«لا أستسلم بسهولة يا جينى. لابد أنك أصبحت تعرفين ذلك فالاستسلام ليس من طبيعتى وقد صممت على الزواج منك أيتها الطفلة المحبوبة».

لم تتمكن جينى من ترجمة عبارة التحبب الأخيرة التى قالها لكنها ارتعشت لرنينها العذب وأحست بشعور غريب يلف معدتها وكأنه ناتج عن خوف أو إثارة ولم يكن فى وسعها تحديد أيهما الصحيح.

وقالت له بصوت يرتجف رغم محاولتها الجاهدة للظهور مظهر الواثق والعقلانى:

«لا أفهم كيف تستطيع الزواج منى من دون موافقتى، إلا إذا كنت تنوى جرّى بالقوة، ولا أظن أنك مستعد للجوء إلى هذه الأساليب».

وتفحصها مطولاً ثم ابتسم ابتسامة أقلقتها ومد أصبعه نحو ثغرها يرسم خطوطه بتأن ثم سألها بصوت هادئ:

«هيا نذهب».

وحدقت فيه جينى لوهلة:

«أنطونيو».

وقاطعها بلطف.

«طونيو. ألن تستعملى أبداً الاسم الذى ينادينى به المقربون أيتها الطفلة».

«أنطونيو لا ...».

وأحنى رأسه بسرعة وعانقها ثم ابتسم لها وعيناه الداكنتان تلمعان ونفسه الدافئ يداعب ثغرها. وأصر بلطف مشوب بالصراحة قائلاً:

«سأبلغ هدفى يا عزيزتى خوانيتا».

وأبقت جينى عينيها مطرقتين لبعض الوقت فيما تسارعت الأفكار فى ذهنها. ثم رفعت عينيها وجابهت نظرت عينيه السوداوين وقد اقتربتا منها كثيراً فأربكتاها. وقالت بتعمد واضح:

«أنطونيو».

وأفلتت بسرعة من قبضته قبل أن يتسنى له إدراكها وهرعت فى اتجاه الباب.

لقد سرّت للانتصار المتواضع الذى حققته إذ برهنت لذاتها أنها لاتزال قادرة على مقاومة قوة اقناعه وهزئت منه ضاحكة فى أثناء ركضها نحو الباب.

«خوانيتا».

أدركتها مناداته وهى تحاول تحريك قبضة الباب وتتساءل إذا كان سيلحق بها قبل أن تتمكن من الفرار. وما إن أشرعت الباب حتى حبست أنفاسها مصعوقة فقد اصطدمت بدونا صوفيا داخلة إلى الغرفة.

وعبرت عينا عمتها الداكنتان والمشككتان عن ازدرائها للفتيات السيئات التربية. ثم رمقت ابنها الذى كان فى أثر جينى وقد قطّب حاجبيه لكن بريق عينيه دلّ على سروره. وقالت بصوتها البارد والمتساوى النبرة بعد أن رمقت جينى:

«طونيو، ماذا يحدث يا عزيزى؟».

ونظر أنطونيو إلى جينى بعينيه السوداوين ثم هز رأسه ببطء وقال مخاطباً والدته بصوت ناعم:

«لا شئ، يا أمى، لا شئ».

وتابعا التكلم بالأسبانية ولم تستطع جينى أن تفهم ما يتبادلان من حديث لكنها التقطت اسماً عرفته لتوها وانتبهت إلى النظرة السريعة التى خصّتها بها أنطونيو عندما تفوهت والدته بلفظة ماريا.

وقفز قلبها فى صدرها عندما سمعت الاسم من غير أن تجد سبباً يوجب اضطرابها لورود اسم ماريا غازاريس. هذا إذا كانت هى المعنية. وكان واضحاً من تصرفات دونا صوفيا أنها تحضه على القيام بعمل ما لكن جهل جينى بالأسبانية حال دون فهمها بقية الحديث.

وكل ما فهمته أن ماريا أتت لزيارة دونا صوفيا وقد رات انه من المستحسن أن يذهب أنطونيو ويحييها مادامت فى المنزل. وبدا أنطونيو غير مشغوف بالفكرة وهزّ راسه وقد عبّر انعقاد حاجبيه عن قرب نفاد صبره. وقال موضحاً:

«كنت أنوى مرافقة جينى فى السيارة إلى سنتران».

تكلم بالانكليزية هذه المرة وقطبت أمه حاجبيها ثم نظرت إلى جينى نظرة ساخرة جعلت جينى ترتعش لا ارادياً. وأجابته دونا صوفيا مستاءة لاضطرارها استعمال لغة غريبة:

«ليس من باب اللياقة أن تتجاهل ضيفتى وقد طلبت مقابلتك.

ولن تأخذ الكثير من وقتك يا ابنى».

ووقف لوهلة مرتبكاً ثم رفع كتفيه وكأنه يستجيب للواقع وأشار على والدته أن تسبقه. وأمسك بذراع جينى يقودها فى الممرات البيضاء وشرعت جينى تتساءل عن رد فعل أنطونيو المحتمل لفكرة مقابلة ماريا غازاريس لو كانت هى الشريكة فى مؤسسة فرنسيسكو وابنه عوضاً عنها. أقلقتها هذه الفكرة وفضلت الأحجام عن الانسياق فيها وراحت تحاول التنبؤ بهيئة ماريا غازاريس.

كانت قد كونت فكرتها الخاصة عن الفتاة الأسبانية وتصورتها طويلة القامة لا تخلو من التعجرف، رائعة الجمال من دون شك والا لما كان أنطونيو أبدى أى اهتمام بها حتى كرفيقة له فى ركوب الخيل.

فتح باب البهو لوالدته وانحنى أمام جينى مشيراً إليها أن تسبقه إلى الغرفة وقد امتلأت عيناه ظنوناً وهو ينظر إليها. وكانت جينى تتمنى لو استطاعت تفادى هذا اللقاء لكن يبدو أن أنطونيو قرر أنه مادام عليه مقابلة ماريا فالأمر ينطبق عليها هى أيضاً ولن تجديها محاولة التهرب منه.

دخلت القاعة الكبيرة الباردة الجو وقلبها يخفق بسرعة مجنونة وقد لف معدتها شعور بالذعر فيما سارت ويداها مقبوضتان أمامها.

ولاحظت أن المرأة التى نهضت عن مقعدها كانت أنيقة ترتدى ثياباً ثمينة، لكن التشابه بينها وبين صورتها فى ذهن جينى توقف عند هذا الحد.

فهى من جهة كانت أكبر سناً مما توقعت جينى وقد صدمها ذلك إذ تذكرت أن أنطونيو يكبرها بأربعة عشر أو خمسة عشر عاماً وهو أمر اعتادت نسيانه. وكانت شبه متأكدة من أن ماريا غازاريس قد تجاوزت الثلاثين وقد بان تقدمها فى السن على ملامحها وكأن نساء أسبانيا يهر بسرعة من أكبر من نساء البلدان الأخرى.

كانت لبقة ومتكلفة وتنطبق عليها صفة سيدة مجتمع.

وشعرت جينى بحداثة سنها واغترابها حين رأتها. وكانت اليد التى صافحتها بتهذيب، ثابتة وقوية وكأنها يد رجل. ولم يصعب على جينى تخيّل ماريا ممتطية جواداً ومسيطرة بسهولة على طباعه الحادة. وانتبهت إلى أن عينى ماريا قاسيتان كعينى دونا صوفيا وقد تفحصتاها بفضول ظاهر، ثم التفتت نحو أنطونيو ولطف تعبير وجهها حين وقع نظرها على وجهه الوسيم وعينيه الداكنتين وأيقنت جينى أن ماريا غازاريس مغرمة بأنطونيو بغض النظر عما يكنّه لها. ورفعت عينيها لتنظر إليه ثم أومضتا حين رفع يدها إلى شفتيه يقبل أناملها. وقالت بصوت ناعم وبالأسبانية:

«طونيو كيف حالك؟».

«دعونا نتكلم الانكليزية إذا كنت لا تمانعين يا ماريا!».

استعمل لهجة تبريرية كان لها وقع عظيم فى أذنى جينى فاحمرّ خداها.

ووافقت ماريا غازاريس مبتسمة:

«بالطبع، لكنى ظننت أنك تحاول تعليم ابنة عمك الأسبانية يا طونيو، أليس كذلك يا آنسة فرنسيسكو؟».

وأجابتها جينى:

«أننى أحاول التعلم».

وتساءلت عما إذا كانت تملك الشجاعة الكافية لتصحيح طريقة لفظ اسمها بالأسبانية لكنها قررت ألا تفعل فهزت رأسها وابتسمت ابتسامة حزينة ثم قالت:

«لست بارعة فى تعلم اللغات».

وقالت لها ماريا غازاريس بصوت لم يخل من نبرة الارشاد:

«لم يكن سهلاً علىَّ تعلم الانكليزية. لكن كانت دراستها إجبارية فى المدرسة الانكليزية التى كنت فيها قعدت».

«أدرست إذن فى مدرسة فى انكلترا؟».

ونظرت إليها جينى متعجبة وكأنها لم تستطع ستيعاب الفكرة ولم تفهم سبب دهشتها لكون هذه المرأة اللبقة والواثقة من نفسها قد درست فى مدرسة فى الخارج وربما فى مدرسة من أكثر المدارس الداخلية كلفة وصعوبة فى اختيار تلامذتها.

وأجابتها ماريا غازاريس بإيجاز:

«لم أبق فيها لفترة طويلة. إذ لم أكن مستمدة هناك وطلبت العودة إلى المنزل».

ورمقت عيناها الداكنتان اللامعتان أنطونيو وابتسمت نصف ابتسامة، إذ غمرته نبراوية من زوايا ثغرها الواسع، ثم تابعت بصوت رقيق:

«لقد افتقدت الكثير أثناء إقامتى فى انكلترا».

وتكلمت بحيث لم تترك أى مجال للشك فى قصدها. وتكلم أنطونيو مخاطباً إياها وكأنه أساء فهمها إذ قال:

«لا تركب جينى الخيل».

لكن جينى كانت متأكدة أنه فهم قصدها تماماً بعد أن لاحظت الطريقة التى تكلم بها.

وارتفع حاجبا ماريا غازاريس السوداوان تعبيراً عن دهشتها وأسفها وهزت رأسها.

«آه. لكن ينبغى أن نعلمها ركوب الخيل أيضاً يا طونيو. فمن المؤسف ألا تستطيع إشراك ابنة عمك فى هوايتك المفضلة».

ودلت لحظة التردد هذه على الكثير، وبنحو خاص على أن ماريا غازاريس كانت تعارض مشاريع زواج أنطونيو بقدر معارضة دونا صوفيا لها، أو بالأحرى معارضة جينى لها. وأحست جينى لوهلة أنها حليفة للفتاة الأسبانية وهما تسعيان لتحقيق هدف مشترك، إذ فى استطاعته ماريا غازاريس أن تقوم بدور الزوجة لأنطونيو على نحو أفضل بكثير من جينى وكان واضحاً أنها متلهفة للزواج منه بينما ترفضه جينى.

«لا أظن أنه من الضرورى أن أتعلم ركوب الخيل يا آنسة غازاريس».

وكانت متأنية فى لفظ اسمها على النحو الصحيح ثم تابعت:

«حتى أنه ليس من الضرورى فعلاً أن أتعلم الأسبانية لكن عمى رفائيل يصر على تعلمى...».

وأحست أن الطريقة التى رفعت فيها كتفيها للتعبير عن مشيئة القدر لم تكن مختلفة عن حركة أقربائها من ذوى الأصل اللاتينى ولاحظت دهشة أنطونيو حين رآها. وقال لها بصوت هادئ:

«لم أدرك أنك تدرسين الأسبانية إكراماً لأبى. هل هذا هو السبب الوحيد لمتابعتك الدروس؟».

«بالتأكيد».

وسرّت جينى لتعبير وجهه عندما نظر إليها ثم ابتسم بتأن وهزّ رأسه ثم تمتم بصوت خافت بالأسبانية شيئاً لم تفهمه، لكن فهمته ماريا غازاريس إذ نظرت إليه نظرة قاسية وساطعة ثم قالت بصوت ناعم:

«يا لبلاهتك يا نطونيو».

وتساءلت جينى بعد أن فهمت أخيراً بعض الحديث عن سبب نعت ماريا لأنطونيو بلابلاهة.

ورفع كتفيه ثم ابتسم مجدداً ونهض ثم نظر إلى ماريا لبرهة وقال بصوت هادئ:

«أراك غير مستعدة لركوب الخيل اليوم يا ماريا لكن هل لى أن آمل فى مقابلتك غداً صباحاً؟».

طرأ تغيير جذرى على ملامح ماريا القاسية لسماعها دعوته وبدت علامات الرضى على دونا صوفيا أيضاً وألقت بنظرة سخرية وانتصار على جينى وكأنها ظنت أنها نجحت أخيراً فى حمل ابنها على البوح علناً بتفضيله ماريا على جينى. لكن جينى فوجئت بشعورها بالامتعاض للدعوة وعقدت حاجبيها لا إرادياً. وسمعت صوت أنطونيو الرقيق والعميق يسألها:

«لا مانع عندك يا صغيرتى؟».

وهزت رأسـهـا وقـد تخـضّب خـداها وبرقت عـيناها الخضراوان لحظة التقتا بعينيه وأدركت الدافع الذى حدا بأنطونيو إلى إبداء الدعوة.

وقالت له:

«كلا! بالطبع لا أمانع. ولم أمانع!؟».

وابتسم بتأن ثم مد يده يرسم بطرف اصبعه الخط الذى أبرزه عقدها حاجبيها ثم قال لها بنعومة متناهية:

«لا داعى لأن تمانعى. لا داعى أبداً».

تمتعت جينى كعادتها بالنزهة فى السيارة إلى الاسطبل حيث يحتفظ أنطونيو بجياده وراحت تنظر حولها بشغف كبير أثناء سيرها على الطرقات المغبرّة والمتعرجة بين كروم العنب وقد شارفت محاصيلها على النضج تحت شمس أغسطس المحرقة.

كان أنطونيو قد بدّل ثيابه قبل مغادرتهما المنزل وكانت ترمقه بين الحين والآخر من طرف عينها وتعجب كحالها دائماً لحسن منظره فى سرواله القصير وجزمته وقميصه الأبيض المفتوح كعادته عند الياقة والذى التصق على صدره الواسع. وقد فتح اليوم القميص أكثر من العادة لحرارة الجو وتذكرت جينى كيف رمقها وقد رفع حاجبه لحظة فتح القميص وكأنه يتوقع منها أن تعارض فعله.

ورحبت جينى بالنسيم الناتج عن سرعة السيارة وكانت تتفهم تماماً رغبة أنطونيو وارتياحه للهواء يلامس بشرته مباشرة

لكن رويتها ولّدت فيها احساسات مختلفة تماماً لم تخلُ من الاضطراب. كان منظره البدائي والذهبي بسمرته ساحراً جداً خصوصاً عن قرب وحاولت جيني ألا تراقب كفيه وذراعيه الأسمرين الجبارين تتحكمان بالسيارة.

وكان رأسه الأسود المتعجرف الصقري يحرّك فيها عواطف غريبة وقد زادت حدتها اليوم أكثر من أي وقت مضى وتساءلت عن سبب ذلك. وخيّل إليها أنها ترى شخصاً مختلفاً، فهو الآن ليس فقط ابن عمها أنطونيو بل أكبر سناً منها يسحرها برجولته، وقد يكون شعور ماريا غازاريس الظاهر حياله هو الذي جعلها تراه بمنظار آخر لكن مهما يكن السبب فقد أحسّت باضطراب عاطفي كبير.

كان لأنطونيو شريك في الاسطبل يسكن في منزل قريب منه، يرحب بجيني كلما أتت برفقة أنطونيو. أما الاسطبل فهو عبارة عن مجموعة متناثرة من المباني البيضاء في أرض شاسعة.

كانت الأراضي تشتمل مراعي خصبة ترويها مياه الهضاب المجاورة وقد جرّت بواسطة نظام ري قديم العهد إنما فعال جداً وكانت تحيط بها حقول أشجار تين ضخمة وقديمة شكلت واحات من الظل!

كانت الجياد من النسل الأندلسي الأصيل ويعود أصلها إلى الجياد العربية التي أتى بها الفاتحون العرب وكانت رائعة الجمال. إلا أنها كانت حادة الطباع أيضاً يتطلب ركوبها فارساً ماهراً كأنطونيو وكانت جيني قد تأكدت من مهارته بعد أن شاهدته مرات عدة.

وهى تبقى عادة فى رفقة زوجة خوسيه غارسيا. وبعد أن رحّب بهما مضيفهما دخل المنزل ليعلم زوجته بقدومها وللاستعداد لركوب الخيل برفقة صديقه. وتوقعت جينى أن تسير الأحداث كالعادة.

بعد أن اختار أنطونيو مطيته وأسرجها قاد الجواد إلى حيث وقفت جينى بجانب سياج حقل الفروسية فنظرت إليها مستغربة. إذ كان يركب عادة جواده وينتظر خوسيه كى يلحق به ويكتفى بالتلويح.

لكنه توجه نحوها اليوم وسألها مبتسماً:

«هل تمانعين فى بقائك برفقة زوجة خوسيه؟».

وهزت رأسها ورمقته مندهشة ثم قالت:

«كلا. بالطبع لا. ولم أمانع؟».

ورفع كتفيه بعد أن فكّر للحظة ثم ابتعد وردد قائلاً بصوت هادئ:

«لِمَ تمانعين؟ ظننت أنه لربما...».

ورفع كتفيه العريضتين من جديد واعتلى السرج. لكنه لم يبتعد بل جلس لوقت طويل يحدق فيها بعينين غائرتين ثابتتين. ثم ابتسم من جديد ولوّح بيده وقال بصوت ناعم:

«إلى اللقاء يا جينى. لن أتأخر».

حثّ الجواد النحيل الشاحب اللون الذى كان يمتطيه على السير رادعاً إياه عن الركض إلى أن يتجاوز المراعى، وراحت جينى

تراقبه بكآبة. كان من السهل عليها تصور قامة ماريا غازاريس الرشيقة ممتطية إلى جانبه وهى تمسك بسير لجام فرس جميل وتسيطر على طبعه الحار بسهولة. لقد أخبرها أنطونيو أنهما كانا يركبان الخيل معاً منذ الطفولة. وقد لمحت ماريا نفسها إلى أن قدرتها على الفروسية تقربه منها.

وما أفاقت جينى إلى نفسها إلا وهى تناديه باسمه وتوقفت جاهلة ما ستقول له. أحست نفسها بحاجة ماسة إلى التكلم معه وإن لم يكن لديها ما تقوله بالتحديد لكن تراءت لها الفكرة المجنونة حين رأته يستدير نحوها.

شد بقوة على لجام نطيثه ليوقفها فوراً ثم استدار بالجواد نحوها.

وراح قلبها يقفز فى صدرها وعضت على شفتها بقلق محاولة إيجاد الكلمات للتعبير عن الدافع المفاجئ والفورى الذى حرابها إلى مناداته وسألها بصوت رقيق وهو ينظر إليها وكأنه يدرك دوافعها:

«ما بك أيتها الصغيرة».

وأجابته بصوت لاهث وخافت:

«أنى آسفة أنطونيو. لقد ظننت لتوى أنه لربما... لربما».

وهزت برأسها متوقعة أن تراه منزعجاً لترددها لكنه ظل ثابتاً فوق جواده وهو يحدق فيها ثم سألها:

«ماذا تحاولين أن تقولين يا جينى؟».

ووجدت الكلمات المناسبة أخيراً فنظرت إليه وقد إعتراها نوع من الدوار فيما قالت له:

«كنت... كنت أتساءل هل فى استطاعتى...».

ورأت نظرة التعجب فى عينيه وأدركت أنه لم يفهم قصدها فتابعت بسرعة:

«أعنى أننى كنت أتساءل هل أستطيع تعلم ركوب الخيل».

«آه».

وبرقت عيناه فجأة وابتسم نصف ابتسامة ثم قال:

«ترغبين فى تعلم ركوب الخيل، أليس كذلك؟».

أدركت جينى أن تهوّرها هو الذى قادها إلى التفكير بتعلّم ركوب الخيل إذ كانت تخشى الجياد منذ الصغر. لكن الأوان كان قد فات فلن يدع أنطونيو الفكرة تفلت منه بسهولة فقالت محاولة إيجاد مبرر للتراجع:

«لست أدرى إن كنت قادرة... لقد كنت دائماً... أعنى أننى لا أهتم فعلاً بالجياد».

وقال بصوت ناعم:

«سأعلمك يا عزيزتى».

وتراءت لجينى زاوية أخرى للمسألة لم تأخذها فى الاعتبار. ماريا غازاريس كانت هى التى طرحت فكرة تعليمه إياها

ركوب الخيل لكن أيا منهما لم يقدم عملياً على هذا. وبدأت الشكوك تساور جينى حول المشروع بكامله، وسألته:

«أنت؟».

وأومأ إيجاباً ورمقها ساخراً ثم قال:

«بالطبع أنا. ألا تتوقعين منى أن أكون أستاذك. ومن أحسن منى؟».

وقالت قلقة:

«آه لكن لم أفكر. أعنى أنه لربما ...».

وقاطعها وبدا نافد الصبر:

«أوه... مالى أراك تحاولين تغيير رأيك. لن تفعلى هذا لأننى سأعلمك أنا؟ وما اعتراضك علىّ؟».

ووقفت جينى على مقربة من الجواد الهائج وأحست بقوته ونفاد صبر كل من المطيئة والفارس وهزت رأسها ثم اعترفت:

«لا أدرى».

وضحك فارتعشت. وأنبها بلطف قائلاً:

«لا تتصرفى برعونة إذاً. عزيزتى خوانيتا. لا داعى للخوف».

ونظر إليها وقد رفع حاجباً داكناً وامتلأت عيناه تساؤلاً. فقال:

«هل ركبت جواداً من قبل؟».

وهزت رأسها بالنفى. ثم قالت:

«كلا».

وأدركت للمرة الأولى على المسافة بين الأرض والسرج.

«يبدو لى الارتفاع عن الأرض شاهقاً».

وابتسم ثم انحنى نحوها ومد يده داعياً إياها بلطف:

«تعالى تحققى بنفسك».

وهزت رأسها ثم قالت بسرعة:

«لا. ليس الآن».

نظرت إلى الثوب القصير الذى كانت ترتديه وأضافت.

«لا أستطيع الركوب وأنا فى هذا الثوب».

لم يستحب يده السمراء واستمر مبتسماً يتحدّ فى ما راح يراقبها.

وأكد لها قائلاً بصوت ناعم:

«لن أؤذيك يا يمامتى. ولا تخافى شيئاً إن جلست أمامى. مدّى لى يدك واصعدى. تعالى يا عزيزتى لن أدعك تقعين. أعدك بذلك».

كانت نبرته رقيقة، مغرية وأحست بخفقات قلبها تتسارع متجاوبة. لكنها نظرت إلى الجواد الهائج بعينين امتلأتا حذراً وتمنت لو لم تتهور وتزج بنفسها فى هذا الموضوع. إذ اتضح لها أنه سيؤدى بها إلى أبعد مما تصورت.. وقالت:

«الجواد... لا أظن أنه...».

«وأمسك بسير اللجام محكماً السيطرة على الجواد الهائج، بسهولة قريبة من الازدراء وابتسم ثم قال مطمئناً:

«لن يؤذيك «العاصى». تعالى جينى أمسكى بيدى».

ومدت يدها مذعنة وأمسكت بيده لكن قلبها كان يخفق بسرعة جنونية وتسارع تنفسها وصاحت خائفة عندما رأت نفسها على صهوة الجواد أمام أنطونيو وانغرز حد السرج القاسى فى ساقها، وأحاطت بها ذراعه القوية فيما راح الجواد يدور على نفسه لازدياد فى الوزن وحبست أنفاسها من جديد عندما أحست بضغط جسم أنطونيو النحيل الضاغط على جسمها وسألها بصوت غائر رقيق:

«أنت تحبين هذا الموقع المرتفع. أليس كذلك؟».

وأومأت إيجاباً ولو بتردد إذ كان عليها مواجهة مشكلة ركوبها الخيل لأول مرة ومشكلة قربها الحميم من أنطونيو إيضاً. ونظرت إلى أسفل تقيس ارتفاعها عن سطح الأرض ثم قالت:

«أجل... لكن...».

وسمعت إصداء ضحكته وقد ملأت صدره وأحست بهفقات قلبها تعود إلى التسارع. وقال لها:

«إذاً ستوافقيننا».

وقبل أن يتسنى لها إدراك قصده غمز الجواد بكعب قدمه:

«آه! لا!».

استجاب الجواد لأوامر فارسه. تعلقت جينى بأنطونيو وتشبثت أصابعها بقميصه ودفنت وجهها فى رحابة صدره الدافئ.

«طونيو. أوقف الجواد. أكاد أقع. أرجوك طونيو أريد النزول».

وسمعت رنين ضحكته فى أذنها وقد انطلق الجواد يسابق الريح ثم قال:

«أيتها الطفلة. أيتها الطفلة الخجولة لن يصيبك مكروه».

ولم تتجرأ جينى على لقاء نظرة حولها وقد طمس القميص صوتها لكنها تنبهت إلى عدم خطورة رحلتهما وقد كان يعدو بها الجواد فى المروج الفسيحة والريح تعبث بشعرها الأحمر.

أحست جينى بشعور غريب من الإثارة لسرعة الجواد وقوته وتشجعت فألقت نظرة خاطفة على الأشجار التى بدت وكأنها تتسابق، فادركت سرعة انطلاقهما وهمست:

«طونيو، أرجوك يا طونيو أن تتمهل».

وسمعت من جديد رنين ضحكته فى أذنها وضمتها ذراعه أكثر فأكثر إلى صدره إلى أن ملأ صدى ضحكته جسمها وقال بصوت فاض رضى:

«آه. أخيراً ناديتنى باسمى. أنت تتعلمين أساليب ارضائى يا حبيبتى».

ولم تدرك جينى ما قاله لكنها رفعت أخيراً رأسها ونظرت إلى عينيه السوداوين وقد امتلأتا تحدياً. وابتسم لها بوجهه

الصارم الصقرى ثم ضحك ساخراً واحست بالسعادة تفيض من كل انحاء جسمها. الريح الناتج عن عدو الجواد بعثر شعرها وأنعس خديها فتطايرت خصلاتها إلى الوراء ولمت عيناها من الاثارة والتقى نظر انطونيو بعينيها فضحك فيما برقت عيناه الداكنتان.

ظنت أنها خائفة وارادت الظهور بمظهر الغاضبة لكنها ادركت ان كل شئ تلاشى الآن ولم يبق سوى ذلك الشعور الجامح بالاثارة الذى ولدته الرحلة المجنونة، ولفت ذراعيها حوله تعانقه فيما وجهها على صدره الدافئ والرحب واغمضت عينيها.

خيّل إليها ان الرحلة استغرقت دهراً وان الجواد لن يتعب ابداً وفوجئت به يمهل سيره وكادت الا تشعر بالمجهود العضلى الذى كبح جماحه. وأدركت أنهما بلغا حدود أرض خوسيه غارسيا حيث علت أشجار أوكاليبتس ظليلة بجانب الطريق ورأت كروم العنب على مسافة قصيرة فوق التلال.

ونظرت إلى انطونيو واحست فجأة بخجل عظيم بعد أن توارى شعور الإثارة الأولى وأتيح لها أن تدرك بسهولة استسلامها العفوى لأحداث الحاضر. وحدّق فيها انطونيو بثبات حتى خفضت عينيها فعلقتا على ياقة قميصه المفتوحة فتفادت بذلك مواجهة نظرته البراقة الاستجوابية مدة أطول وقد تسارعت خفقات قلبها.

ومد يده وبعثر شعرها الأحمر بلطف وازاحة عن جبينها ثم ابتسم وهو يلامس بشدة عنقها الناعمة. وسألها بصوت ناعم:

«هل وجدت أخيراً السبيل لارضائك أيتها الصغيرة؟».

وارتعشت جيني إنما لا إرادياً. ولما لم تجب رفع ذقنها بيد ثابتة وأرغمها على النظر إليه وقال:

«لا تستطيعين الانكار أنك تمتعت بالرحلة».

كانت قد تمتعت فعلاً وكانت على وشك الاعتراف له بذلك لولا رؤيتها في هذه اللحظة خوسيه غارسيا يقترب منها وأدركت للمرة الأولى ما قد يفكر فيه أسباني تقليدي حين يراهما في هذا الوضع. وكان أنطونيو يعي أيضاً هذا الاحتمال لكنها رأته يعبس وكأنه غير راض عن ظهور صديقه المبكر.

وتوجه هوسيه غارسيا بجواده نحوهما وقد علت ثغره ابتسامة مؤدبة لم تخل من الفضول وقال مخاطباً جيني:

«لم أجدك قرب المرج يا آنسة فرنسيس. ولم أدرك أنك...».

وعبّر عن قصده بحركة واسعة من ذراعيه ملاحظاً ثوبها القصير الزهري اللون والبعيد كل البعد عن ثياب الفروسية وتراءى لجيني أنه صدم لرؤيتها ملتصقة بأنطونيو. ولم تدرك إلا بعد دقائق عدة أنه اعتاد رؤية أنطونيو في رفقة ماريا غازاريس. وأن زواج هذه الأخيرة من أنطونيو الذي كانت ترغب فيه دونا صوفيا بات أمراً واقعاً مما يزيد في غرابة المشهد الذي واجهه.

وكان أنطونيو يبتسم لكنه كان واضحاً أنه أدرك نظرات صديقه المتسائلة بسهولة وقال له:

«شاءت جيني أن أعلمها ركوب الخيل».

ثم نظر إليها بعينين براقتين وتابع:

«وهذا ما يسمى بالانكليزية «رحلة تجريبية». أليس كذلك أيتها الطفلة؟».

ورفع خوسيه غارسيا كتفيه بلباقة وقال بصوت هادئ:

«إنه لأسلوب تعليمى غير معهود يا صديقى طونيو لكن...».

وأكمل جملته بحركة من كتفيه بدت وكأنها تضمنت رأيه فى الموضوع وقال له أنطونيو:

«وهو أسلوب مسموح به فى هذه الظروف».

وضيقت ذراعه القوية التفافها حول جينى حتى صعب عليها التنفس ثم أضاف:

«إذ أن جينى ستصبح زوجتى يا خوسيه».

«أنطونيو!».

طردت صيحة احتجاجها هذه تعابير الشرور عن وجه خوسيه والتفتت تنظر إلى أنطونيو عينين غاضبتين فيما حاولت يداها عبثاً الافلات من قبضته الفولازية:

«لاحق لك بأن...».

وتوجه أنطونيو بالكلام إلى صديقه المرتبك وهو يحدق فيها:

«هل سمعتها؟ وهل كنت وافقت على مرافقتى فى هذه الحالة لو لم يكن ذلك صحيحاً. أيتها الصغيرة؟».

ونظر إلى ساقيها النحيلتين وقد ظهرتا من تحت الفستان الزهرى القصير وإلى يده السمراء الضخمة وقد ضمت خصرها. ثم مرر اصبعه يرسم خطوط جسمها اللطيفة وأضاف:

«وهل يمكن أن تقوم فتاة حسنة التنشئة بعمل مماثل يا عزيزتى؟».

ثم أحنى رأسه الداكن فى اتجاهها للحظة وهمس فى أذنها:

«مصلحتك تقضى الا تجادلينى بشدة يا جينى؟».

واستدارت جينى بقدر ما سمحت لها قبضته وحدقت فيه بعينين خضراوين فاض الغضب منهما وهمست لاهثة:

«أننى أكرهك. لن أتزوجك حتى ولو انقطع الرجال عن الأرض».

وأدركت أن خوسيه غارسيا كان يراقبهما بفضول وقد اريكه تبادل العواطف اللاهبة بينهما لكن أنطونيو بدا وكأنه غير مبال بمراقبة صديقه وأحنى رأسه تجاهها وعانقها لوقت طويل ثم ابتسم مجدداً وقال لها بصوت رقيق:

«سنتزوج يا صغيرتى. سنتزوج».

٦- النسر صياد النسور

أفاقت جيني في صباح اليوم التالي باكراً على غير عادتها وبقيت مستلقية في السرير الواسع والمريح لبعض الوقت تفكر في أحداث الأمس. وقد كانت كثيرة كلقائها ماريا غارزاريس، وأكثر أهمية تلك الرحلة المجنونة على متن الجواد برفقة أنطونيو التي انتهت بإطلاقه نيته الزواج منها أمام خوسيه غارسيا.

وأدركت أن خوسيه غارسيا انتهى إلى الصديق أنطونيو واعتبار تقبيلها ذلك من باب التحفظ الذي تقدم عليه فتاة على وشك الزواج مما أثار غضبها فاعتصمت بصمت صارم بقية النهار وقد لاحظ عمها ودونا صوفيا صمتها هذا.

صعب عليها قبول كونها تمتعت بالرحلة المجنونة برفقته بعد أن أثار غضبها على هذا النحو. وشعرت أن عليها معاودة التفكير في قرارها بتعلم ركوب الخيل لكون الفكرة مشوبة بالمخاطر وأولها أنه يقتضيها تمضية المزيد من الوقت برفقة أنطونيو. وقد كانت مؤخراً أقل رغبة في مرافقته.

ولم تكن ماريا غازاريس تماماً كما توقعتها برغم أناقتها وتكلفها الأكيدين لكنها أدركت أنها قد تتحول إلى خصم عنيد إذا شاءت الصدف أن تتواجها. وأحست أن أنطونيو كان يحاول جاهداً أن يبقى الواحدة منهما بعيدة عن الأخرى. وقد أغضبها ذلك.

وتذكرت فجأة أنه ذهب برفقة ماريا هذا الصباح بالذات لركوب الخيل وقطّبت حاجبيها، وخيّل إليها أنه لو كان فعلاً مصمماً على الزواج منها لتخلى عن ركوب الخيل برفقة ماريا إلا إذا كان يحاول إثارة غيرتها. واقتنعت بأنه سيخيب أمله إذا كان هذا قصده لكن من المرجح أنه كان يتصرف من موقع الذى يحاول رمى عصفورين بحجر واحد كما أخبرها سابقاً.

وتنهدت بعمق لاضطراب حالتها العاطفية ثم تثاءبت بكسل وأخيراً نهضت من السرير وارتدت ثوباً خفيفاً. كان الجو مشمساً ودافئاً كالعادة وابتسمت حين تنشقت العطور التى فاحت من الباحة ومن الورود على شرفة غرفتها.

مشت نحو احدى النوافذ ووقفت كعادتها فى إطار النافذة الدائرى تنظر إلى الخارج وقد أحاطت بها شلالات من الورود وأزها المانوليا وراحت تنعم بالسكون الهادئ والدافئ.

لامست وردة حمراء قانية خدّها فالتفتت ووجدت يدها تداعب توجيهاتها المخملية الباردة وابتسمت. داعب أريج الوردة أنفها فقطعت عنقها وقربتها من أنفها فتنشقت عبيرها بغبطة ثم استدارت عائدة إلى الغرفة.

«جينى».

ترددت برهة وخفق قلبها فجأة بعنف فأصيبت بدوار وتعرفت بسهولة إلى الصوت وتكهنت أنه خرج لملاقاة ماريا غازاريس كما وعدها فى الأمس.

وفكرت بادئ الأمر فى تجاهل ندائه والاكتفاء بالدخول إلى غرفتها والاستحمام ثم الاستعداد للفطور. لكن قلبها دلّها إلى أنه لايزال واقفاً فى الباحة ينتظرها فترددت لبعض الوقت ثم استدارت من جديد.

وقف أنطونيو فى ظل شجيرة مانوليا فاح عبيرها. وتراءى لها كعادته فى هذا الموضع بالذات وكأنه مزيج من الحسن والخيال. وكان يرتدى كما توقعت ملابس الفروسية وينتعل جزمته واقفاً فارجاً ساقيه بعض الشئ يضرب احداهما بمهماز الركوب القصير. وابتسم حين أطلت من جديد وكأنه متأكد من أنها ستعود مستجيبة لندائه وقد لمعت عيناه السوداوان فرحاً. حيّاها بصوت رقيق:

«صباح الخير».

ولامست نظراته ثوبها الفاتح اللون وشعرها الأحمر المبعثر وهز رأسه علامة انشراحه لرؤيتها:

«ألم ترتدى ثيابك بعد يا حبيبتى؟».

وهزت جينى رأسها فيما راحت تفرك الوردة الحمراء بين أصابعها محاولة إخفاء ارتجاف يديها وعلى رغم احساسها

بسخافة غيرتها شعرت فى هذه اللحظة بالذات وأنطونيو واقف هناك بأنها تكره فكرة مرافقته لماريا غازاريس لركوب الخيل وقالت له فى اقتضاب:

«أى أنك أفقت باكراً لملاقاة الآنسة غازاريس».

ولاحظت حاجبه الداكن يرتفع بسرعة. وسألها بصوت رقيق على رغم المسافة التى بينهما:

«وهل أنت مستاءة من ذلك؟».

وفهمت قصده المبيت فى السؤال فاغتاظت وشددت قبضتها على الوردة. فانقطع رأسها ورمته بحركة غاضبة. ثم أكدت له:

«طبعاً لا، لا أبالى بمن يرافقك يا أنطونيو وإننى متأكدة من أن الآنسة غازاريس تسر لمرافقتك أكثر منى».

ولاحظت أنه توارى لحظة تحت الشرفة وقطبت حاجبيها فضولا ثم ظهر مجدداً ممسكاً نشئ بين يديه. وابتسم لها ابتسامة لم تخل من المكر ثم مد يديه فى اتجاهها ليتسنى لها رؤية الوردة الحمراء التى رمتها وقد أمسكها بأصابعه السمر القوية بمنتهى الرفق. رفعها إلى ثغره ولامست شفتاه التويجات العابقة عطراً ثم وضعها بدقة فى جيب قميصه. وذكرها بصوت رقيق قائلاً:

«أنها الوردة الحمراء. وسأحتفظ بها إلى جانب قلبى يا حبيبتى».

وتأثرت جينى لقيامه بهذا العمل التقليدى المحبب لكنها

كانت مصممة على ألا تجد فيه سوى خطة لاقناعها وهزت رأسها وأومضت عيناها عزماً ورغبة في إيذائه وقالت محاولت تحجيم الحدث قدر المستطاع.

«لم اكترث في حياتي لعمل تخطّاه الزمن كهذا. ولم يعد أحد يحمله على محمل الجد. ولم أعطك الوردة بل قذفتك بها».

وأدركت أنها تمكنت من جرح شعوره حين لاحظت انقباض فكيه وبريق عينيه السوداتين القاسي، وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية.

أجابها بصوت بارد أخافها لكثرة هدوئه:

«لو لم تكن اللباقة وحسن الأخلاق يمنعاني من الصعود إلى غرفتك لكنت جعلتك تأسفين لكلامك. أما الآن... فإني أحييك فلقاؤنا حين أعود من نزهتي».

«قد لا تجدني».

انطلق جوابها بصورة عفوية وبدافع التحدي لكنه التفت نحوها من جديد وقد فاضت الدهشة من وجهه وردد قائلاً:

«لن أجدك؟».

وأومأت إيجاباً.

أربكها رد فعله وأدهشها في آن ولم تدرك السبب. وحدقت فيها عيناه السوداوان طويلاً بنظره غائرة لا قرار لها أطلقت العنان لخفقات قلبها من دون أن تفهم بسبب اضطرابها. وقالت:

«لربما قررت الذهاب في نزهة».

وحدقت فيه مشدوهة عندما سمعته يتنهد ارتياحاً ورأته يغمض عينيه وكأنه تخلص لتوه من عبء ثقيل.

خاطبها مستعملاً اللقب الذى يفضله لها:

«يا أيتها الحمقاء. لقد أردت إعطائى انطباعاً خاطئاً».

ولم تحتج على تسميتها «حمقاء» إذ كانت قد تحولت الكلمة بينهما إلى مجرد لقب لا تعارضه. لكنها حاولت تفهم مئات الأفكار التى جالت فى ذهنها وتساءلت عما قد يفعله أنطونيو لو كانت تنوى مغادرة المنزل.

ثم رمقته بطرف عينها للحظة. وتفحصت ملامحه الصقرية الداكنة وجسمه الطويل النحيل القوى وكأنه مستعد حتى فى هذه اللحظة للانقضاض... وكانت لاتزال مصممة على مقاومة محاولات اقناعها بالزواج منه وإذا بها تتساءل أن كانت فعلاً قادرة على السفر الآن. وقد تعودت على الكثير من الأمور فى أسبانيا ستفتقدها إذا قررت الرحيل. ومن أهم تلك الأمور جهود أنطونيو المثابرة لاقناعها بالزواج.

وهزت رأسها وكأنها تحاول تنقيته وتفادت النظر إليه ثم قالت:

«من الأفضل أن أباشر ارتداء ثيابى وإلا تأخرت عن الفطور».

واستقر أنطونيو واقفاً ينظر إليها ويضرب جزمته بالمهماز القصير وعرض عليها قائلاً بلطف:

«بامكانك مرافقتى».

ولم تحاول جينى تفهّم أسباب دعوته لها هذه بل اكتفت بسبب واحد منها اعتبرته مناسباً وهزت رأسها تقول:

«حتى يتسنى لك رمى عصفورين بحجر واحد».

ورأت الغضب يجتاح ملامح وجهه واستطردت:

«لا. شكراً يا أنطونيو. لا أظن أن الآنسة غازاريس ستسر لرؤيتى أوانى سأسرّ لرؤيتها».

«آه!».

دوت صيحته كالقنبلة وأدركت أنه فهم أخيراً مسألة كانت غير واضحة فى ذهنه ثم أكمل بصوت رقيق:

«إذن. أنت مستاءة من ركوبى الخيل برفقة ماريا».

ووضع الوردة الحمراء فى جيبه برفق ثم تابع قائلاً:

«فهمت الآن طبيعة احساسك نحوى على حقيقتها يا حبيبتى؟».

«أنت... أنت لا تفهم شيئاً». قالت جينى لاهثة ثم أضافت:

«ليس هناك شئ يحتاج للفهم. لاسيما ما يجول فى ذهنك».

وضحكت عيناه وكأنه سر لغضبها وسألها برقة:

«وماذا يجول فى ذهنى يا حبيبتى؟».

وراحت جينى تعبث بأصابعها بثوبها محاولة إيجاد الكلمات للرد عليه ثم ضربت بقدمها أرض الشرفة الحجرية الباردة ضربة آلمتها وصاحت به غاضبة:

«آه. اذهب وقابل ماريا. اذهب واركب الخيل برفقتها لكن إياك أن تظن أنك قادر على اثارة غيرتى حتى أقبل بالزواج منك. لأنك لن تنجح فى ذلك أبداً».

أيقنت جينى أن عمها اشتبه بحدوث تأزم علاقتها مع أنطونيو فى اليومين الماضيين فلم تفاجأ عندما لحق بها إلى الحديقة ذات مساء بعد العشاء.

ولم تكن تكيفت تماماً بعد مع وقت العشاء المتأخر جداً وهو الوقت التقليدى فى كثير من المنازل الأسبانية وكانت تستمتع دائماً بتلك السهرات الهادئة خصوصاً متى كان القمر بدراً. وجلست لبضع دقائق على حافة حوض البركة الحجرى رغم ضيق المكان لوفرة أزهار الخبّازى الحمراء والورود الحمراء والبيضاء والصفراء التى تسلقته وراحت تستمع إلى خرير المياه من النافورة المزخرفة.

اختفت الألوان إلا عن بعض البقع التى يصلها النور الآتى من أضواء المنزل، لكن أريج الزهور لم يختف بل عبق به الجو الدافئ والساكن. مضى على جلوس جينى بعض الوقت تداعب المياه بأناملها حين وصل عمها. واتجه نحوها قائلاً:

«جينى يا طفلتى. هل أنت جالسة هنا لأنك حزينة؟».

وهزت برأسها تطمئنه باسمه:

«كلا يا عمى رفائيل بل جلست هنا استمتع بالأمسية الرائعة وبجمال المكان هذا فى ضوء القمر...».

ثم ضحكت برقة فيما نظرت إلى الكره الصفراء المعلقة فى السماء الداكنة:

«أننى متأكدة من أن قمركم أضخم بكثير من القمر فى بلادنا».

وبدا وكأنه استوحى معنى جملتها الأخيرة فوقف ينظر إليها وقد قطب حاجبيه وكأن شئ ما اربكه ثم سألها:

«هل تحنين للعودة إلى وطنك يا جينى؟».

وهزت رأسها من جديد:

«كلا. لا أحس بالحنين إلى وطنى».

ومدت يدها وأمسكت إحدى يديه وابتسمت له:

«إننى حقاً سعيدة هنا يا عمى رفائيل. أؤكد لك هذا ولا داعى لأن تشغل بالك».

وابتسم رفائيل ببعض المرارة ووضع يداً بلطف على رأسها ونظر إليها بعينين وادعتين كعينى جدها وكأنه لم يصدق بعد تطميناتها ثم قال بصوت اللطيف العذب.

«أشعر الآن أنك ابنتى أيتها الطفلة. وأنا مسؤول عن سعادتك بقدر مسؤوليتى عن صحتك».

وأجابته جيني بصوت رقيق:

«أعرف ذلك يا عمي وأنا شاكرة لك».

وأمسك بيدها بين أصابعه وتردد وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة للتعبير عن أمر تكهنت جيني أنها عرفت سلفاً مضمونه وتابع بعد صمت طويل قائلاً:

«في الفترة الأخيرة راودني شعور أنك وطونيو...».

وهز رأسه ببطء فنهضت جيني وهزت رأسها بدورها ويدها بين يديه وقالت بصوت أرادته هادئاً وثابتاً:

«ليس هنالك أشياء كثيرة تجمع بيني وبين طونيو يا عمي رفائيل فهو...».

وترددت متسائلة حول صحة الحجة التي هي في صدد ابدائها لكنها تابعت:

«فهو يكبرني بخمس عشرة سنة».

واستوقفها رفائيل قائلاً برفق:

«لكن يا ابنتي أليس هذا الأمر مستحسناً؟ ألا يشكّل الرجل الأكبر سناً من زوجته زوجاً صالحاً أكثر من غيره؟».

قاطعته جيني رافضة:

«لا يشكل زوجاً صالحاً إلا إذا خلا قلبه من طموحات جشعة».

وتمنت جينى لو لم تحس بهذا المقدار من المرارة حيال هذا الوضع وأضافت:

«وهو عدا ذلك يكن المودة للآنسة غازاريس وهى تبادله عاطفته».

«وأنت يا صغيرة. ألا تكنين المودة له ولو قليلاً؟».

وبالغت فى الانتظار قبل الاجابة لكنها شعرت بالحاجة إلى اختيار كلماتها بدقة:

«طبعاً نعم. فهو ابن عمى».

وشددت أصابعه اللطيفة على قبضتها بعض الشئ وسألها:

«هل لأنه ابن عمك فقط؟».

«نعم. لأنه ابن عمى لا لشئ آخر».

وتنهد رفائيل كما كان تنهد أنطونيو من يومين حين اعتقداتها راحلة. وأسفت جينى لتخييبها أمل عمها لكنها كانت لا تستطيع الموافقة على مشاريع أنطونيو الأنانية حتى ولو إكراماً لعمها. وقال لها رفائيل بصوت هادئ:

«أخبرنى خوسيه غارسيا أن أنطونيو أخبره عن خطبتكما».

وصعقت جينى لمعرفته الأمر إذ أدركت للمرة الأولى الابعاد التى اكتسبها إخبار أنطونيو صديقه الحميم عن زواجه منها، ولربما لم بد خوسيه غارسيا أى دافع لكتم الخبر وقد تكون نصف البلاد قد علمت بالأمر الآن بغض النظر عن مقدار الحقيقة فيه.

من الصعب التنصل من إعلان كهذا أمام قوم تقليديين كالأسبان ولابد أن أنطونيو كان عارفاً بذلك أكثر منها، ولربما أخبر خوسيه غارسيا بدافع تعقيد الأمور فى وجهها ليجعل رفضها الزواج منه مسألة مستحيلة. وأحست بشعور غريب يلفها حين لمست تصميمه وقالت فجأة وهى تحاول أن تبل شفتيها الجافتين:

«لم يكن له الحق أن يخبر أياً كان. لقد أثار سخطى بعمله هذا.

وقد أخبرت السيد غارسيا بأن الخبر عار من الصحة وظننت أنه صدقنى».

«ظن خوسيه أن تكذيبك للخبر كان بداعى التحفظ على الأسلوب غير الرسمى الذى اعتمده أنطونيو فى إعلان خبر زفافكما».

وشدّ من جديد على أصابعها:

«هل أنت مضطرة إلى تكذيب أنطونيو بهذه الشدة. طونيو متلهف للزواج منك ولقد لاحظت مؤخراً ...».

وتردد بين التكلم والسكوت ثم قال بسرعة:

«بدا لى أنطونيو مؤخراً وكأنه ليس مهتماً بتحقيق مشيئة جده بقدر اهتمامه بتلبية نداء قلبه. وأننى أعنى بصدق ما أقول أيتها الطفلة».

وراح قلب جينى يخفق بسرعة جنونية وأدركت أن عمها تنبه لهذا الأمر إذ أن يدها كانت لاتزال بين يديه. كم هو سهل

عليها أن تصدقه وإن تترك نفسها تنجرف فى الاعتقاد أن أنطونيو مصر على الزواج منها لأنه يحبها. لكنها هزت رأسها بشدة للتخلص من الفكرة. فهو ذهب لركوب الخيل برفقة ماريا غازاريس ولم يكتم أمر استمتاعه برفقتها وإن بدا مستعداً لأن يضحى بحبها العميق له من أجل الحصول على حصة أكبر فى المؤسسة العائلية. فالرجال أمثال أنطونيو قساة جداً ولابد أن ماريا غازاريس مؤهلة أكثر للتعامل معهم.

«لا أصدق... لا أستطيع تصديق ذلك يا عمى رفائيل».

قالت محاولة تخفيف حدة الكلمات لئلا تجرح شعوره. وأيقنت أنه أكثر قابلية للأذى متى تعلق الأمر بابنه أنطونيو وقالت:

«أنطونيو لن يلبى نداء قلبه. لأنه لو فعل لتزوج من الآنسة غازاريس».

«صدقينى أيتها الطفلة أرجوك».

«لا جدوى يا عمى».

وهزت رأسها بعزم ثم نظرت إليه مطولا وبحزن راجية لو استطاعت تصديق كلامه إذ بدأت تدرك فى قرارة نفسها مدى رغبتها فى تصديقه. وبعد قليل ابتسمت بمرارة ومدت يدها تلامس وجهه بلطف وقالت بصوت رقيق:

«أننى آسفة. أتمنى لو استطعت تصديقك يا عمى ولو اكراماً لك فقط ولكن...».

قاطعها قائلاً:

«ولكن لن تتزوجى إلا بدافع الحب».

وتنهّد... هزت جينى رأسها ونظرت إلى يديهما المتشابكة وأحست بتعاسة فاقت توقعاتها ورددت بصوت ناعم:

«نعم سأتزوج بدافع الحب فقط... وينبغى أن يكون الأمر متبادلاً».

ثم استبقت تساؤله عن قصدها بابتسامة عريضة وقالت له بخفة:

«لربما اسكرنى تأثير القمر الأسبانى هذا. من المستحسن أن أدخل إلى المنزل قبل أن أفقد صوابى».

لم تحبذ جينى يوماً فى حياتها أنواع الرياضة التى تتضمن اهداراً للدماء ولم تستهوها أبداً مصارعة الثيران لكن حين عرض عليها أنطونيو ذات يوم مرافقته إلى حفلة صيد النسور لم ترفض فوراً بل نظرت إليه بفضول متسائلة هل هو جاد.

وأوضح لها قائلاً أثناء تناولهم الغداء:

«ظن خوسيه أنك لربما وددت مرافقتنا».

وعبرّت عيناه السوداوان عن تحديهما المعهود فيما راح يسكب مزيداً من الشراب فى كوبه.

«إلى صيد النسور؟ لكنى لم أكن على علم أنك تصطادها. أعنى إنى لم أسمع من قبل بصيد النسور».

ورفع كتفيه غير مبال وبانت بسمته من خلال الكأس فيما راح يرتشف منها ثم سألها:

«لم تأت إلى الأندلس من قبل أليس كذلك؟ لقد أخبرت خوسيه أنك لا تحبين رؤية الدم لكنه أصر على دعوتك وأنى أحبذ فكرة قدومك لذا...».

وفتح يديه تاركاً المبادرة لها.

واحمرّ وجه جينى للتهكم الذى أبداه حيال كرهها للصيد وانتبهت لشفتى دونا صوفيا الرفيعتين تعبيراً عن ازدرائها لحساسيتها المفرطة واعترفت جينى قائلة:

«لا أحب مشاهدة الحيوانات تقتل بداعى الرياضة. لعلك تشكر السيد غارسيا عنى وتفهمه حقيقة شعورى».

وأصرّ أنطونيو وقال وهو يحدّق فيها:

«حاولت افهامه ولكن».

ورفع كتفيه العريضتين وكأنه يشارك صديقه استهجانه ثم تابع:

«يصعب أحياناً على الأسبانى تفهم مواقف الانكليز».

وأجابته جينى بحدة:

«يمكننى تصديق هذا. حتى الانكليز أنفسهم لا يفهمونها».

ولم تتنبه إلى مضمون ملاحظتها الساخر الا حين سمعت ضحكته العميقة والهادئة وابتسمت عفوياً. وقد أحست فجأة بقربها منه وقد استغربت هذا الشعور ولم تفهمه لكنها تاركته فى

الضحك، إلا أن دونا صوفيا استاءت من هذه اللحظة الحميمة بينهما وحدقت بشراسة فى عينيها وقد ضاقت عيناها غضباً ثم قالت مخاطبة ابنها بصوت هادئ:

«ستذهب ماريا بكل تأكيد».

وأحست جينى بلسعة الامتعاض لسماعها اسم ماريا غازاريس بدالها أنها أيقنت أن دونا صوفيا تعمدت ذكر اسمها لتذكيرها هى وأنطونيو بكثرة الأمور المشتركة بينهما وندرتها بينه وبين جينى.

لم يجب أنطونيو مباشر قبل رمق جينى التى جلست تنظر إلى أسفل وكأنها تعير كل اهتمامها قطعة العجة فى صحتها ثم قال أخيراً:

«أتوقع أن تحضر ماريا برفقة والدها يا أمى».

ورفعت جينى عينيها ونظرت إليه، ثم قالت:

«إذاً من الأفضل ألا أذهب».

وناداها أنطونيو بصوت رقيق:

«أيتها الحمقاء الصغيرة. ألن تأتى اكراماً لى يا جينى؟».

وتفادت النظر إليه لكنها هزّت رأسها. كانت تخشى مقابلة ماريا غازاريس من جديد خصوصاً إذا كان اللقاء سيتم فى ظروف لم تعهدها جينى فيما ماريا معتادة عليها وقالت:

«أفضّل عدم الذهاب يا أنطونيو».

«جينى».

مد يده نحوها وغطت أنامله السمراء القوية يديها وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية حتى فى أثناء هزها رأسها. وسألها بصوت رقيق:

«ألن تلبى الدعوة ولو إكراماً لى؟ سيستغرب خوسيه عدم مرافقتك لى وأنا سأسر كثيراً إذا جئت».

ونظرت إليه جينى فى محاولة أخيرة لمقاومة أسلوبه المقنع اللطيف. وسألته بسرعة لاهثة:

«حتى يتسنى لك رمى عصفورين بحجر واحد... لقد سبق إذ أخبرتنى أن هذا هو ما تريد».

وتحولت أنامله فجأة إلى قبضة فولاذية تسحق يدها حتى صرخت لألمها وبرقت عيناه السوداوان غضباً وتقلص فمه حتى تحول إلى خط رفيع قاس وسط ملامحه الصقرية.

«تباً لك».

ولم تره فى حياتها غاضباً غضبه الآن وأحست بالذعر لعدم قدرتها على تحريك يدها وتمتم:

«حسناً لن أتحمل المزيد من نوباتك الغاضبة يا أيتها الحمقاء، بوسعك أن تفعلى ما تشائين وأن تذهبى إلى حيث ترغبين ولن أضايقك بعد الآن أبداً. لقد انتهى الأمر بيننا».

أفلت يدها بحركة غاضبة عنيفة ونهض عن كرسيه لكن رفائيل مد يده واستوقفه راجياً:

«طونيو أرجوك أن تتحلى بالصبر يا بنى».

ووقف أنطونيو ونظر إلى جينى متجاهلاً والده وأحست بلهيب عينيه السوداوين يحرقها فنظر إليه لا إرادياً. وقد اتسعت عيناها تتوسلانه. وخيم الصمت للحظة وكأن الطير فوق رؤوسهم.

عبرت عينا دونا صوفيا الداكنتان عن رضاها لنبذ ابنها لجينى علناً أمام رفائيل الذى احتفظ بيده على ذراع أنطونيو الساخط وجينى التى جلست ساكنة وعينا أنطونيو تحدقان فيها وقلبها يخفق بسرعة مجنونة وموجات الدفء تجتاحها كلما نظرت إليه وقد أشرف عليها وكأنه من الطيور المفترسة الخطيرة.

ولمست فيه حالة من الالحاح والشغف ألهبت أحاسيسها وبدا فى لحظات الصمت هذه وكأن كل شئ متعلق بها. وأدركت أن انقطاع العلاقات بينها وبين أنطونيو سيحزن عمها كثيراً وستكون دونا صوفيا هى الوحيدة التى ستسر لذلك. وبللت جينى شفتيها وهى تحاول جهدها أن تقاوم تحدى عينيه السوداوين ثم سمعت نفسها تقول له بصوت خافت ورقيق:

«أننى آسفة يا أنطونيو».

«ماذا إذاً؟».

تكلم بصوت رقيق أيضاً حتى خيّل إليها للحظة أنهما وحيدان على الأرض. ثم أضاف بالأسبانية:

«وما العمل الآن يا عزيزتى؟».

وعضت على شفتها قلقاً. لم تقصد إثارة سخطه بهذا الشكل لكنها لم تكن مستعدة لأن تدل أيضاً ولم تدر ما العمل. فالقرار يعود إليه.

كانت قد اعتذرت له ولم تر سبباً لتتابع رفع غصن الزيتون إذا لم يبدر عنه بعض اللين. فاكتفت بالجلوس صامتة وشبكت يديها على الطاولة أمامها.

«جيني؟».

رفعت عينيها للحظة ثم خفضتهما بسرعة فمدّ يده ورفع ذقنها وسألها متنهداً:

«أنت لا ترحمين أليس كذلك؟».

ودوى صوت دونا صوفيا البارد والقاسي:

«طونيو، طونيو لا تحاول...».

لكنه قاطعها قائلاً:

«أمي، أستطيع اتخاذ القرارات وحدي. شكراً لك».

ثم نظر إلى جيني من جديد وسألها:

«هل أفهم منك أنك قررت مرافقتي إلى سنتران؟».

ووجدت نفسها تومئ إيجاباً لا شعورياً:

«حسناً».

قالتها بصوت رقيق وخفّت حدة نظرته القاسية حين ابتسم راضياً.

٧- جراح المطاردة

فوجئت جينى حين اكتشفت أن موعد رحلة الصيد قد حدد قبيل الغروب. وسبب ذلك كما وضحه لها أنطونيو أن العنسق والفجر هما الوقتان الوحيدان حين تتداخل نشاطات الطيور المفترسة والحيوانات النهارية، لم تكن راضية قط عن المشروع برمته، لكنها كانت مرتابة للقائها بماريا غازاريس من جديد أكثر من اهتمامها بمصير الطيور ولم تتعجب حين علمت أن الصيد الفعلى يتولاه الرجال فيما تكتفى النساء بدور المتفرج. وقد بدأت تعتاد هذا الوضع التقليدى فى أسبانيا.

حضّها أنطونيو على ارتداء تنورة داكنة وسترة، وأن تعتمد قبعة جلدية كبيرة فوق شعرها الأحمر. ولم تتعود احتمار القبعات لكن أنطونيو ابتسم راضياً عن شكلها وأمال القبعة لتظلل جبينها وقال لها مبتسماً:

«تبدين وكأنك أسبانية حقيقية».

وابتسمت مشككة ثم سألته:

«أسبانية بشعر أحمر؟».

«هناك نساء أسبانيات شعرهن أحمر يا أيتها الصغيرة وفى إمكانك أن تكونى خوانيتا فرنسيسكو رائعة».

واحتضن ذقنها بيده لبرهة ثم أضاف برقة:

«باستثناء لون بشرتك الفاتح طبعاً».

وأحنى رأسه بسرعة وعانقها لوهلة. أحست جينى بخفقات قلبها تستجيب تلقائياً لحركته اللطيفة وقالت له ضاحكة:

«لن أصير سمراء أبداً، مهما جلست فى الشمس».

ولامست اصبعه فكها تداعبه ونظر إليها مبتسماً ملتزماً الصمت لبعض الوقت ثم هز رأسه وقال لها برقة:

«لا أريدك سمراء أبداً».

سكتت جينى وأبقت عينيها مطرقتين. كانت تريد البوح له بأمور كثيرة لكنها كانت لا تجد الكلمات المناسبة للتعبير عما كان يخالجها فى اليومين الماضيين. وكان قد أقسم لها ألا يكلمها عن الزواج ثانية ولم ينكث بوعده حتى الآن وكانت تشعر بالقلق كلما أحست بلهفتها لسماع كلامه عن الزواج.

وسألها بصوت هادئ:

«هل من أمر يقلقك يا جينى؟».

وهزت رأسها لكنها بدت مشغولة البال فرفع ذقنها من جديد ونظر إليها بعينين سوداوين ثاقبتين وسألها بدقة:

«هل الصيد هو الذى يشغل بالك؟».

ورفعت كتفيها مرتبكة ثم وافقت قائلة:

«ليس فعلاً».

ونظر إلى جدية وجهها بعض الوقت ثم داعب خدها وقال:

«إذن لماذا تبدين حزينة بهذا الشكل؟ لا عليك فسوف تلقين بأصدقائك».

وتراءت لها صورة ماريا غازاريس فاكفهر وجهها وقالت:

«آمل ذلك».

رمقها مرات عدة فى طريقهما إلى سنتران وكان يبتسم فى كل مرة لكنهما لم يتكلما كثيراً وتساءلت عما إذا كان مدركاً مدى تخوفها من مقابلتها لماريا غازاريس. فلن يكون هناك الكثير من الناس وتمنت لو حصل العكس فتندر فرص الاتصال المباشر بينهما.

كانت ترتاح لخوسيه غارسيا وزوجته لكنها تجهل كل شئ عن دون ميغيل غازاريس وتمنت لو كان أقل عداء تجاهها من ابنته بيد أن هذا الأمر يبدو مستعداً فى هذه الظروف.

ولكن إذا كان يحبذ فكرة زواج ماريا من أنطونيو فمن المؤكد أنه يعتبر جينى دخيله غير مرغوب بها. ولربما اعتاد مع السنين اعتبار أنطونيو صهره المستقبلى. وسوف يصدم صدمة عنيفة إذا ما تلاشت آماله بسبب مجئ خصم لماريا. لا يكفى أن يكون الخصم هذا غريباً عن البلد ويمتلك حصة فى مؤسسة فرنسيسكو بل يصغر ماريا بعشر سنوات وأكثر.

وارتعشت من جديد لما ينتظرها فالتفت أنطونيو نحوها ورمقها متعجباً ثم سألها:

«هل تشعرين بالبرد يا جينى؟».

وكان الجو دافئاً كعادته فى الصيف ولا أثر لأى نسيم:

«لا أبداً. أنها أمسية رائعة».

«خيّل إلىّ أنى رأيتك ترتعشين».

وهزت جينى رأسها وقد تسارعت خفقات قلبها وحاولت تفسير ما أحست به:

«كنت... كنت أفكر بـ...».

وعضت على شفتها وهزت رأسها مجدداً لعدم عثورها على الكلمات المناسبة وغارت عيناها فى ظل القبعة الجلدية المنحدرة على جبينها وقالت برقة وهى موقنة أنه لن يقتنع بكلامها.

«لا شئ».

ونظرت إلى وجهه الصقرى الداكن وقد زادتها ظلال الكروم وأشجار الزيتون المتوارية قسوة وبدائية،وأدار رأسه نحوها من جديد وقد ضاقت عيناه ريبة:

«أما زلت قلقة بسبب الناس الذى ستقابلينهم؟».

ولاحظت علامات نفاد الصبر فى صوته. خاطبها مستعملاً اللقب الساحر الذى كان قد أحجم عن استعماله فى الأيام القليلة الماضية:

«أنت تتصرفين بسخافة أيتها الحمقاء الصغيرة. ما الذى يدعوك إلى هذا القلق؟ أنت تعرفين خوسيه وتيريزا وسبق لك أن قابلت ماريا».

ووافقت جينى قائلة:

«قابلتها مرة واحدة. وهى لم تستلطفنى كثيراً».

فسألها بسرعة:

«وهل استلطفتها أنت؟».

وهزت رأسها لا شعورياً.

«هل تكرهينها؟».

بدا فضوليا أكثر منه مضطرياً للاحتمال هذا أو قطبت جينى حاجبيها غير راغبة فى الانحراف فى موضوع ماريا غازاريس. وقالت بصوت حاولت تثبيته قدر المستطاع:

«لست مضطرة إلى الاجابة عن سؤالك».

وضحك ضحكة قصيرة فيما عالج منعطف طريق:

«لا داعى لأن تجيبى عن سؤالى. لكننى فضولى لأعرف السبب».

وانقبضت يدا جينى بقوة فى حجرها وأيقنت أنها بصدد الانهزام كعادتها فى هذه المشادة الكلامية وقالت بصوت خافت ومخنوق:

«ربما لأننى أدرك مقدار كرهها لى. وأنت، أنت يا أنطونيو أدرك الناس بالسبب».

«وماذا بعد؟».

وتراءى لها جانب وجهه الصقرى القاسى فأحست برعشة تعتريها لرفضها الخوض فى جدل جديد معه خشية من النتيجة. وصمتت لوقت طويل وحوّلت انتباهها إلى جو الريف الساحر فى الضوء الخافت.

كل شئ أحاط بها كان يحثها على تفادى الجدل.

غرابة أشكال الأشجار التى شمخت فى السماء الداكنة وظلال كروم العنب الممتدة حتى الأفق فوق التلال والناس وقد مشوا فى طرقات القرى المغبرة مستمتعين بعد نهار عمل قاس وحتى الأطفال نصف العراة يلعبون على جنبات الطريق أو يطأطئون رؤوسهم على الأكتاف الرحبة. كل هذه الأشياء كانت تدعو إلى السلام والتأمل.

فقالت جينى بتردد:

«أنطونيو».

لكنه لم يلتفت نحوها كما توقعت وشكرت الله أنه لم يفعل إذ سمح لها الوقت لأن تستعيد أنفاسها وأن تكبح جماح رغبتها المفاجئة في البكاء ونجحت فى القول أخيراً:

«لا أريد خوض نقاش معك. لا أريد ذلك».

ومدّ يده السمراء غطّت يديها وعصرت أصابعه القوية أناملها حتى كادت تسحقها ثم قال لها بصوت رقيق:

«إذن لا تفعلى يا حبيبتى».

«أنطونيو».

«نعم أيتها الصغيرة».

وهزت جينى رأسها وتنهدت بصوت خافت فيما استلقت فى مقعدها وأغمضت عينيها لوهلة مدركة عبث محاولاتها افهامه وقالت بصوت خافت ومذعن:

«لا شئ».

كان المنزل فى سنتران مشعاً ولم يكن حلّ الظلام بعد وأدركت جينى أن الشرفات الرومنطيقية المكسورة أزهاراً هى التى تحجب قسماً كبيراً من النور عن الطبقة السفلى وتحتم الاضاءة المبكرة.

وشعرت باحساس غريب يلفها لدى اقترابهما من المنزل ورمقت أنطونيو بطرف عينها يترجل من السيارة ويأتى نحوها ليفتح لها الباب.

كانت جينى متأكدة أن خوسيه غارسيا صدق خبر خطبتهما مما يعنى أن زوجته تشاركه فى اعتقاده هذا وتمنت لو استطاعت مقابلتها أولاً لتوضح لها الموقف.

ورأت جينى سيارة أخرى متوقفة أمام المنزل وأيقنت أن صاحبها هو دون ميغيل غازاريس وتلاشت الآمال القليلة التى راودتها سراً فى احتمال تغيّب ماريا ووالدها وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية حين تأبط أنطونيو ذراعها يساعدها على الترجّل من السيارة. وسألها بصوت رقيق:

«هل أنت على ما يرام؟».

وأومأت إيجاباً لكن من دون اقتناع.

كانت تيريزا غارسيا امرأة ممتلئة الجسم ودودة الطبع تناهز الثلاثين من العمر وقد ارتاحتا، هى وجينى الواحدة للأخرى منذ اللحظة الأولى للقائهما فابتسمت جينى حين رحّبت بها مضيفتها متناسية للحظة هموم السهرة المقبلة.

«أهلاً وسهلاً بك يا خوانيتا. تفضّلى أرجوك تفضلى».

ونظرت تيريزا إلى جينى بعينيها الداكنتين والخجولتين ثم مدّت يدها تصافحها وأيقنت جينى أن ساعة الحقيقة قد دقت وحبست أنفاسها مذعورة تنتظر لحظة ورود التهانى فقالت مترددة:

«تيريزا».

وحاولت جاهدة إيجاد الكلمات المناسبة فيما وقف أنطونيو على بعد قدمين منها بحيث يمكنه سماع كل ما يدور بينهما. وهمست تيريزا غارسيا تسألها:

«تودين اخبارى عن زواجك أليس كذلك؟ أنى على علم به فقد أخبرنى خوسيه يا خوانيتا».

وصاحت جينى بيأس محاولة توضيح الأمر قبل فوات الأوان:

«أنت وخوسيه لا تعيان حقيقة الأمر كاملة. لست خطيبة لأنطونيو. لقد حصل خطأ وأتمنى لو استطعت افهام زوجك آنذاك. لقد حاولت ولكن...».

وتوقفت عند هذا الحد إذ شعرت بعينى أنطونيو السوداوين تحدّقان فيها وأدركت أنه سمع ما قالته. لم يبد غاضباً بقدر ما بدا متألماً ونظر إليها بعينين غائرتين حزينتين ولّدنا فيها شعوراً غريباً بالذنب جهلت سببه.

وردّدت تريزا غارسيا:

«خطأ؟».

وراحت تتنقل بنظراتها من أنطونيو إلى جينى، تحاول فهم هذا التناقض.

وقطع أنطونيو الخطوات القليلة التى كانت تفصل بينهما ووقف بجانب جينى يحدق فيها لكنه خص تيريزا بابتسامة حزينة وقال بصوت رقيق:

«أنه لأمر محزن لكنها الحقيقة يا تيريزا. لقد صدتنى ابنة عمى الجميلة».

وحبست جينى أنفاسها عندما أدركت أن أنطونيو فى ما قاله عن إنتهاء كل شئ بينهما وراح قلبها يخفق فى صدرها حين تراءت لها الخطوة البديلة لقبوله رفضا له، إذ سيقدم حتماً على الزواج من ماريا كما كان سيفعل لو لم تصبح جينى شريكة له فى المؤسسة العائلية.

«أنت تعنى أن خوانيتا قد...».

وامتلأت عينا تيريزا الداكنتان استهجاناً حتى خيّل إلى جينى أنها على وشك الظن أن المسألة مجرد نكتة. لكنها تذكرت أن

الطبع الأسبانى ليس ميالاً إلى المزاح بسهولة وأيقنت أن الخبر قد صدم فعلاً مخيفتها التى قالت بصوت مذهول:

«لا يا خوانيتا هل حقاً فعلت ذلك؟».

لم يعطها أنطونيو الوقت الكافى للإجابة وسرّت جينى لهذا إذ كانت تلاقى صعوبة كبيرة بالاستمرار فى هذه المواجهة وقال يوضح الأمور لتيريزا بصوت هادئ متفادياً النظر إلى جينى:

«أخطأت فى استباقى الأمور بهذا الشكل. ولقد وعدت جينى ألا اتطرق ثانية إلى هذا الموضوع».

وذهلت جينى لسماعها كلامه وما زاد من ذهولها هو انزعاجها لسماعها أمراً كانت تحاول تحقيقه بكل قواها.

وصمتت تيريزا غارسيا لبرهة ثم وضعت يدها على ذراع أنطونيو بحركة حميمة زادت من اضطراب جينى وقلقها ثم قالت بصوت ناعم:

«إنى آسفة يا طونيو».

وابتسم يهز رأسه.

ولم تستطع جينى معرفة ما إذا كان يستجيب إذ ظهر فى هذه اللحظة خوسيه غارسيا وبرفقته ماريا غازاريس ورجل قصير القامة نحيلها، قاسى الملامح يرتدى ثياباً سوداً وارتعشت جينى حين رأته. وحين رأت هذا الرجل المتعجرف وابنته أدركت جينى فجأة أنها ألحقت مقداراً كبيراً من الأذى بأنطونيو حين كذبت خبر

خطبتهما. كان أنطونيو رجلاً فخوراً بنفسه إلى حد العجرفة أحياناً وبات عليه الآن أن يعترف لهؤلاء القوم إن المرأة التي كان ينوي الزواج منها قد رفضته. وقع نظر ماريا غازاريس عليها فضاقت عيناها وكأنه يستحيل عليها إخفاء كرهها لها حتى ولو بداعي حسن الآداب. ولم يكن رأي أبيها مختلفاً عن رأيها فيما يتعلق بجيني.

وخاطبه خوسيه غارسيا:

«دون ميغيل أظن أنك لم تقابل بعد الآنسة خوانيتا فرنسيس وهي ابنة عم طوتيو وخطيبته. آنسة فرنسيس أقدّم له دون ميغيل غازاريس».

«كيف حالك يا آنسة؟».

كان صوته بارداً كعينيه اللتين نظرتا إليها بازدراء مهذب وتمتمت جيني ترحيباً وسارعت إلى سحب يدها من قبضته الباردة القاسية وفي يقينها أن ماريا غازاريس تراقبها بعينين فاحصتين.

«مساء الخير يا آنسة فرنسيس. هل تحبين الصيد؟».

ورفعت حاجبها وكأنها تشكك في ملاءمة القبعة الجليدية لرأس جيني وأحست جيني للمرة الأولى بالارتباك لاعتمارها.

وأدركت جيني أن طرح ماريا للسؤال هو بقصد دفعها إلى الاعتراف بأنها تنبذ فكرة القتل بداعي الرياضة لكنها قررت ألا تتجرف بسهولة ورفعت كتفيها مدركة أن أنطونيو يراقبها وقالت بصوت ارادته ثابتاً:

«لم أشـاهد هـذا النوع من الـرياضـة من قـبل يا آنسـة غازاريس فلا أستطيع ابداء رأى فيها».

لم يخطر فى بالها معاودة تكذيب خبـر خطبتها من أنطونيو وأحست بنظرة تيـريزا غـارسـيا المرتبكة حين لم تصـحح تعـريف زوجها لها بخطيبة أنطونيو. ولربما تساءل أنطونيو عن ذلك أيضاً.

لم تكف ماريا عن مراقبتها وكأنها صقـر وقد فاض الكره من عينيها الضيقتين وتسنن صوتها ثم قالت:

«افترضت أنك تقاسمين حساسية مواطنيك السخيفة فيما يتعلق بالحيوانات. ولم تحضرى أية حفلة مصارعة للثيران منذ قدومك أليس كذلك؟».

«كلا لم أحضر».

وهزت جينى رأسها تحاول بجهد السيطرة على أعصابها وتتساءل إذا كان هذا العداء لها سيستمر طوال السهرة فيتعذر عليها عندئذ الاحتفاظ بتهذيبها. كانت تكره أن تزعج مضيفتها ولربما كان الحل الوحيد أن تغادر الحفلة بمفردها إذا اقتضى الأمر.

حملوا قفصاً فيه بومة واتجهوا نحو موقع الصيد وذعرت جيني إذ أدركت أن الطعم المستعمل لاجتذاب النسور هو عبارة عن بومة طولها ثلاثون سنتيمتراً تقريباً. شرسة المظهر، رُبطت بحبل مد بين شجرتين فتجتذب محاولاتها للافلات النسور المكلكية السوداء اللون فتنقض عليها.

واختبأ الفريق المؤلف من ستة أشخاص فى مخبأ بنى خصيصاً لهذه الغاية بين الأشجار وقبعوا ينتظرون اللحظة التى ترفرف فيها البومة باضطراب منذرة بقدوم أحد الطيور المفترسة الكبيرة. وارتاحت جينى حين أدركت أنه نظراً لاقتراب الظلام، فلن يتمكنوا من متابعة الصيد لوقت طويل.

لم يكن المخبأ واسعاً وبدا لجينى أنه من الطبيعى أن تجد نفسها واقفة بالقرب من أنطونيو الذى انتصب ينتظر مجئ طريدتهم وفى يده بندقية الصيد. وأحست جينى من جديد بقساوته وبدائيته وكأنه يشبه ذاك الطائر الغاضب والثائر أمامها وتلك الطيور التى لابد أن تكون قد بدأت بالتحويم فى السماء منتظرة الانقضاض على فريستها. وأجفلت حين لمست ذراع أنطونيو بشرتها الناعمة فالهبتها وكأنها نار متأججة. وأدار رأسه نحوها. فتراءت لها ملامحه الداكنة وبريق عينيه السوداوين وبياض ابتسامته وهمس فى أذنها:

«ما بك أيتها الحمقاء الصغيرة؟».

وانتبهت إلى ماريا غازاريس تدير برأسها بسرعة فى اتجاههما فأجابته جينى بصوت خافت:

«لا شئ».

وسمعت ضحكته الهادئة تدوى فى الغبش فاهتز جسمها من ارتجاجها على فرار ما حدث من قبل. وهمس بالأسبانية:

«أنت كذابة».

وفهمت معنى كلامه لتوّها.

وما هى إلا لحظة حتى سمعت البومة ترفرف جناحيها وتهتاج لاقتراب عدوها ومشط الرجال السماء بعيونهم بحثاً عن طريدتهم.

واهتاجت البومة مذعورة لكونها مقيدّة وتحت رحمة النسر الأسود الكبير الذى حلق على علو منخفض فوق الموضع وكأنه يمهّر للانقضاض.

ودلّ تحليقه التمهيدى هذا على وشك انقضاضه وعلى ضرورة رميه. وسمع دوى البنادق الثلاث فأغمضت جينى عينيها وكأنها ترفض مشاهدة لحظة الحقيقة حتى ولو كانت تتويجاً لجهود الصيادين.

لقد سبق لها أن شاهدت تلك النسور البيض والسود تحلّق بأجنحتها الواسعة فى السماء وأزعجها أن ترى أحدها مصاباً حتى ولو قتل من أجل سلامة القطعان والغزلان التى كان يفتك بها.

رقد النسر على الأرض لا يحرك ساكناً والدماء تتدفق منه لكنه استطاع الاحتفاظ بمظهره المعتز.

ولم تلحق جينى بالآخرين الذين تجمعوا حوله ونظرت عوضاً عن ذلك إلى البومة المقيدة بالحبل وقد جمدها دوى الأسلحة ومصرع عدوها.

وقبل أن تعى ما يجرى لها وجدت نفسها تقترب منها وعيناها الشرستان تحدقان فيها وبدأت تفك الرباط عن قدميها فلم

تحرك ساكناً فظنت جينى أنها ستستطيع اكمال مهمتها بسلام لكن ما كادت تفك آخر عقدة وتطلقها حتى لسعتها فجأة ومن دون انذار. وغرزت مخالبها فى ذراعها العارية ثم عضتها بمنقارها الحاد القاطع كالسكين وكأنها ترد لها الجميل على معرفتها فصرخا لألمها وحضنت ذراعها المجروحة وهوت إلى الأرض وقد اتسعت عيناها لا تصدقان ما حدث فيما طارت البومة فوق أعالى الأشجار.

واستدار أنطونيو على نفسه حين سمع صرختها وتابع نظراتها واستعد لرمى الطائر ببندقيته لكنها سمعت نفسها تصيح به:

«لا يا طونيو لا! أرجوك لا ترميه».

واستدار مجدداً بسرعة ورأى الجرح الطويل النازف فى ذراعها وهرع نحوها فيما دوى صوت إحدى البنادق كان يلمع. وغمرت الدموع عينيها ورأت أن دون ميغيل هو الذى أطلق النار ثم شاهدت كتلة صغيرة تهوى من السماء وأدركت أنها ما تبقى من مهاجمها الذى تتطاير ريشه وهوى على الأرض بخفة.

ركعت تيريزا غارسيا بجانبها والقلق باد فى عينيها ويداها السمينتان تتفحصان جرحها بلطافة وتنهدت بلطف قائلة:

«مسكينة يا خوانيتا. يا لك من فتاة متهورة».

وردد أنطونيو ما قالته تيريزا وقال بصوت رقيق ومستسلم وقد ركع بجانبها:

«أيتها الحمقاء الصغيرة. كنت أعلم أنك لن تستطيعى مقاومة القيام بعمل رأفة يا حبيبتى. لم تستطيعى المقاومة أليس كذلك؟».

وقالت له بصوت خافت:

«لا يمكنك فهمى، لا يمكنك ذلك».

وهز رأسه وقال بصوت رقيق:

«إننى أفهمك كل الفهم يا أيتها الفتاة الصغيرة».

وبينما تجمّع حولهم الباقون أضاف:

«آه، لو كنت تلبين نداء قلبك فى المسائل الأخرى كما فعلت حيال هذا الطائر لسهّلت الأمور علينا كثيراً».

وقالت تيريزا بصوت ثابت وناعم:

«ينبغى تضميد الجرح وعرضه على طبيب».

وأومأ أنطونيو موافقاً على كلامها. ولفّ خصر جينى بذراعه وساعدها على النهوض محتفظاً بيده حول خصرها حتى بعد أن وقفت تتكئ على ذراعه مما أغضب ماريا غازاريس وسألها:

«هل أنت قادر على السير أيتها الطفلة أم تشعرين بالضعف».

وأجابته جينى بصوت مرتجف:

«أنا بخير. أستطيع السير يا أنطونيو. شكراً».

كانت تخشى ألا يصدقها فيحملها بين ذراعيه، فلا تستطيع عندئذ مقاومة رغبتها فى دفن وجهها بصدره الرحب والبكاء وحاولت تفادى اكتراثه المفرط بها خصوصاً أن ماريا غازاريس كانت تراقبها عن كثب. وأيقنت أن تيريزا غارسيا كانت ترى اهتمام

أنطونيو بها بعين غير مصدقة وقد رأتها تصده من قبل وتناول منديلاً أبيض كبيراً من جيبه ولفه برقة حول ذراعها الجريحة وخفف القماش البارد من آلامها للحظة. كان الجرح يؤلمها كثيراً برغم انكارها ذلك.

عاد الجميع إدراجهم إلى المنزل بعد أن تعذر حتى على الذين لم يكترثوا لاصابة جينى متابعة الصيد لفقدانهم البومة. وسرت تيريزا غارسيا إلى جانبها وأنطونيو إلى الجانب الآخر ليساعدها وعضت جينى على شفتها لتزايد آلامها.

وتقدمت تيريزا باقتراح لطيف إذ قالت:

«أستطيع تضميد الجرح قبل الذهاب إلى الطبيب. أنه يؤلمك أليس كذلك يا خوانيتا؟».

وأومأت جينى إيجاباً وألقى أنطونيو نظرة حادة إليها وشدد قبضة ذراعه حول خضرها ثم هز برأسه وقال بصوت هادئ:

«من الأفضل أن نذهب فوراً إلى الطبيب. أن الجروح التى تسببها مخالب الحيوانات المفترسة معرّضة لخطر التسمم ولا أريد تحمّل مسؤولية موت هذه الطفلة المجنونة».

أدركت جينى أنه لم يكن جاداً فى كلامه لكن ماريا غازاريس التى كانت تسير وراءهما مع والدها كان لها رأى مختلف وحثت خطاها حتى أصبحت تسير إلى جانب أنطونيو وقد استاءت لفشل سهرتها الرياضية ولرؤيتها ذراع أنطونيو حول خصر جينى. وخاطبت أنطونيو بصوت قاس وبارد قائلة:

«هذا عمل بمنتهى الغباء وليس من أحد يحسدك عليه يا طونيو».

ولم تكن جينى فى وضع يسمح لها بالتكلم دفاعاً عن نفسها.

وتوقعت أن يدافع أنطونيو عنها وأن اكتفى بالتعبير عن تفهمه لدوافعها. وكان قد أظهر لها وقت الحادثة أنه متفهم لدوافعها وقد قدرت له ذلك لكنه بدا الآن وكأنه يستصعب التعاطف معها وابتعدت عنه جينى لحظة سمعته يقول بقساوة:

«إننى أدرك أنها قامت بعمل غبى يا ماريا لكن هذا لا يمنع كون الجرح مؤلماً وخطراً ينبغى أن آخذ جينى إلى الطبيب حالاً كى يعالج جرحها».

ولم تعرف جينى فى حياتها حالاً أسوأ من تلك التى كانت فيها الآن وعضت على شفتها لبعض الوقت محاولة امساك دموعها التى كادت تنهمر وقالت له بصوت مختنق:

«لا تزعج نفسك. أكيد أن دون خوسيه لن يتردد فى مرافقتى إلى عيادة الطبيب».

وانسلخت عنه بقوة وكادت أن تقع على الأرض لانحجاب رؤيتها بالدموع لكنها تابعت:

«سأكره نفسى أن أفسدت سهرتك وسهرة الآنسة غازاريس».

وخيم سكوت مزعج لبعض الوقت وكانت تسير بجانب تيريزا غارسيا بخطى صغيرة غير ثابتة وإذا بأنطونيو يلحق بها فجأة ويقبض على ذراعها السليمة بقوة من شدة غضبه.

وهمس فى أذنها بسرعة كى لا تستطيع ماريا غازاريس سماعه:

«ستكفين عن التصرف وكأنك طفلة غبية والاستعراض أمام الناس وتعالى معى الآن إلى الطبيب ودعينا من المزيد من غباوتك».

«لا».

«لا أهتم أبداً بما تريدين وما لا تريدين. لقد استفززتنى ما فيه الكفاية هذا المساء يا عزيزتى وأنى أنصحك بأن تأتى معى إلى الطبيب من دون جدال والا كشفت لك قدرتى على إيذائك. مفهوم؟».

ولم تبس بكلمة. وقد فقدت معظم قدرتها على المقاومة وكانت تجهل ما قد يقدم عليه لحملها على الاذعان. وتذكرت ثورات غضبه العاتية وأدركت أنه على وشك بلوغ حد الغليان وفقدان السيطرة على أعصابه وقد يؤذيها عندئذ. وأصرّ بعد أن التزم الصمت للحظة:

«هل تصغين إلىّ؟».

وأومأت جينى إيجاباً. ثم التفت نحو ماريا غازاريس من جديد محتفظاً بأصابعه على ذراع جينى وسألها:

«أراك غداً صباحاً. أليس كذلك؟».

ونظرت إليه ماريا رافعة حاجبيها تسأله:

«ولكن ألن تلحق بنا بعد مرافقتك لابنة عمك إلى الطبيب ثم إلى المنزل؟ ألن تعود لنقضى السهرة معنا؟».

ونظرت إلى تيريزا تسألها عن رأيها فوافقت تيريزا بعد أن ألقت نظرة قلقة على جينى ثم على زوجها الذى سار وراءهما برفقة دون ميغيل. وقال خوسيه غارسيا لصديقه:

«طبعاً يا صديقى طونيو. من الواضح أن الآنسة فرنسيس لن تكون راغبة فى اللحاق بنا لكن إن كنت أنت راغباً فى ذلك فأهلاً وسهلاً بك».

وقالت ماريا تشجعه بصوت ناعم وعيناها الداكنتان تتوسلان القبول:

«إذن عد الينا يا طونيو. ألن تعود؟».

وألقى نظرة متسائلة على جينى ثم رفع كتفيه وقال:

«لا أرى سبباً لأن لا أعود».

وأدركت جينى أن ما قاله حقيقى. إذ لم يعد يربطه بها أى رابط حتى ذاك الوعد بالزواج القائم من جهة واحدة وقد قطعته الليلة وأحست بصغرها وضياعها لحظة قدرته عائداً إلى لقاء ماريا غازاريس كما اعتاد أن يفعل من قبل.

لم تنبس بكلمة بل جلست إلى جانبه فى السيارة المسرعة على الطرقات الريفية الداكنة وانهمرت الدموع على خديها ويديها ولم تكن تلك الدموع بسبب ألم جرحها فقط.

٨ـ السيارة المعطلة

بدا اهتمام أنطونيو بذراع جينى المجروحة صادقاً رغم أنه لم يتوان فى لومها. أما دونا صوفيا فلم تخف قط ازدراءها لغباء جينى. حتى عمها لاقى صعوبة فى تفهم دوافعها، لكونه متشرباً الروح الأسبانية التقليدية التى لا تولى أهمية إلا لحياة البشر وذلك برغم لطفه. لقد هز رأسه محاولاً التعاطف معها لكنه ارتبك حين أخبرته عن دوافعها.

لم تر أنطونيو كثيراً فى الأيام الثلاثة التى تلت وظنت أنه يقضى معظم وقته برفقته ماريا غازاريس. ولم تكن قادرة على الخروج من المنزل إذ آلمتها ذراعها كثيراً لكنها شعرت أنها مهملة بعد أن توقف عن الاهتمام بها. وأدركت أن الذنب يقع عليها وحدها لأنها أوضحت لتيريزا غارسيا أنها عازمة على رفض الزواج من أنطونيو. ولا يلام الرجل أن قرر الاهتمام بمن يقدر له ذلك. وكانت جينى تحس بالتململ والضياع. حتى إنها راحت تفكر جدياً فى اليوم التالى لرحلة الصيد بحزم امتعتها والعودة إلى انكلترا. وتساءلت هل سيحاول أحد ثنيها عن الرحيل هذه المرة لكنها كانت متأكدة أن أنطونيو لن يبالى كما فعل لبضعة أيام خلت.

وجلست فى الباحة على عادتها وشعرت بالكسل والنعاس فى شمس أواخر شهر أغسطس فيما رقد كتاب دون كيشوت فى حضنها ولم تكن فتحته بعد. كان الجو ساكناً لا يعكره سوى طنين النحل فى أزهار الماتوليا التى التجأت إلى ظلالها وتغريد العصافير التى قارب وقت مبيتها.

وسمعت رنين الهاتف يدوى فى أرجاء المنزل ويتكرر رنينه مراراً حتى أوشكت على النهوض للاجابة لكنه توقف فجأة فأغمضت عينيها مرتاحة وابتسمت. كان عليها بذل مجهود كبير فيما لو قامت تجيب.

وتكهنت أن المخابرة لدونا صوفيا إذ كان عمها يزور المعمل وانطونيو خارج المنزل وهى تجهل إن كان برفقته إليه أم لا. وعادت إلى أفكارها وإذا بها تفاجأ بعد لحظات وجيزة بيد تلامس ذراعها بنعومة وفتحت عينيها فرأت الخادمة واقفة إلى جانبها بوجهها النحيل الداكن وقد فاض منه الفضول كعادتها.

كانت ماتيلد من خدم عائلة دونا صوفيا القدامى وهى تشارك معلمتها رأيها فى الدخلاء. وقالت لها ماتيلد:

«عذراً يا آنستى. هناك مخابرة لك».

وقطبت جينى حاجبيها مرتبكة تحاول ترجمة ما قالته الخادمة ثم سألتها:

«مخابرة لى؟».

وأومأت المرأة إيجاباً رافضة التكلم بالانكليزية كعادتها:

«نعم يا آنستى».

وخلعت جينى نظاريتها الداكنتين وجلست على حافة الكرسى متسائلة عن هوية المخابر:

«من المتكلم يا ماتيلد. هل عرف عن نفسه؟».

«نعم يا آنستى أنها السيدة غارسيا».

«تيريزا؟!».

ونهضت جينى بنشاط مبتسمة ومتلهفة للتكلم مع صديق:

«شكراً يا ماتيلد أننى قادمة».

وهرعت نحو الهاتف وتناولت السماعة:

«مرحباً يا تيريزا».

«مساء الخير يا خوانيتا كيف حالك؟».

اعتادت تيريزا مخاطبة جينى بالأسبانية بتحريض من أنطونيو لكنها أحست اليوم أنها فى حال من الكسل لا تشجعها على الخوض فى متاهات الأسبانية فقالت لها:

«أنى على ما يرام يا تيريزا شكراً. لكن هلا تكلمنا بالانكليزية فذهنى لا يتحمل الأسبانية فى هذا الجو الحار ولغتك الانكليزية أجود من أسبانيتى بكثير».

وسمعت ضحكة تيريزا تفرقع فى أذنها على رغم المسافة فابتسمت:

«شكراً يا خوانيتا. لكنى كنت أتساءل إذا كنت راغبة فى

القدوم لزيارتى. ما رأيك؟».

«الآن؟».

ولم يكن تردد جينى مردة إلى عدم حماستها للفكرة بل لم تكن واثقة من قدرتها على تحمل قيادة السيارة إذ كانت ذراعها لاتزال تؤلمها كلما حركتها.

«نعم. الآن».

وضحكت تيريزا ثم تذكرت فجأة:

«آه يا خوانيتا. نسيت ذراعك المجروحة. أننى آسفة. اعذرينى».

وأجابتها جينى بخفة:

«لا. ليس الأمر بهذا السوء. فالخطأ كان خطأى وأننى أتوق إلى رؤيتك. سأصل بعد قليل. حالما أغير ملابسى».

«عظيم. أنى فى انتظارك».

وقد بدا من صوت تيريزا أنها متلهفة لزيارتها.

ودخلت جينى على عمتها تخبرها بداعى اللياقة عن زيارتها المقدرة لسنتران لكن الدونا قطبت جبينها لسماعها الخبر مما أربك جينى وسألتها دونا صوفيا بنبرة قاسية:

«وما الهدف من زيارتك هذه؟».

وبدا استياؤها لفكرة الزيارة واضحاً إلى درجة أزعجت جينى وأغضبتها وقالت لها بصوت ثابت:

«دعتنى تيريزا غارسيا لزيارتها. وأرجوك أن تعذرينى دونا

صوفيا فأنا ذاهبة لتغيير ملابسى قبل أن أخرج. إلى اللقاء».

شعرت جينى أن دونا صوفيا حاولت ابقاءها لسبب تجهله. لربما شعرت أن آل غارسيا هم أصحاب أنطونيو ولا يحبن أن تزورهم بمفردها. وكانت متأكدة أن محاولة عمتها ثنيها عن الذهاب لم تكن قط بدافع الاهتمام بذراعها المجروحة.

كانت هذه المرة الأولى التى تقود فيها جينى السيارة إلى سنتران وكان عليها بذل مجهود كى تتذكر الطريق على رغم أنها تعرفت على بعض الاشارات البارزة ودهشت لشعورها ببعض التحسر فى أثناء مرورها ببعض الأماكن التى زارتها برفقة أنطونيو، وكأنها حبيب يزور أمكنة حبه القديم لكنها سارعت إلى قطع حبل تخيلاتها.

واكتشفت بسرعة أن القيادة آلمت ذراعها أكثر مما توقعت لكنها اعتبرت أن بعض الألم يستحق تمضية ساعة أو ساعتين برفقة تيريزا غارسيا. وأسفت لكون عمتها لم تعاملها بروح حسن الضيافة الأسبانية التقليدية لأنها لو فعلت لكانت الحياة فى المنزل أفضل بكثير.

ورحبت بالنسيم الذى رفع شعرها عن عنقها ونفخ يبرد جبينها وسرت لكونها ارتدت فستاناً لا أكمام له واسع الفتحة إذ أتاح للهواء العليل المبرد أن يداعب ذراعيها وكتفيها. لكنه كان بالطبع يظهر الضمادة التى شوهت ذراعها إلا أن هذا كان أمراً لابد منه ولم تتساءل عن الدوافع التى حدت تيريزا دعوتها المفاجئة هذه إلا بعد أن شارفت على الوصول إلى منزل آل غارسيا.

لم تكن هذه زيارتها الأولى لآل غارسيا لكنها كانت دائماً في زياراتها السابقة برفقة أنطونيو وعقدت حاجبيها للحظة عندما أدركت هذا الأمر لربما أرادت تيريزا اعلامها بأنها لاتزال ترحب بها على رغم رفضها الزواج من أنطونيو.

وما إن اقتربت من بوابة الباحة الحديد حتى أيقنت سبب دعوة تيريزا لها وسبب استياء دونا صوفيا. كانت هناك سيارة واقفة في ظل أشجار النخيل وتعرفت جيني إلى سيارة أنطونيو بسهولة.

جلست في مقعدها لثوان عدة تنظر إلى السيارة الأخرى وقلبها يخفق بسرعة جنونية وفكرة العودة فوراً تداعب ذهنها. واتضح لها أن تيريزا تحاول تحقيق غرض ما من جراء تدبيرها هذا اللقاء، لكن ما شغل بال جيني هو رد فعل أنطونيو المحتملة فيما لو أعتقد أنها لحقت به. وسيربكها كثيراً إن فسر مجيئها على غير حقيقته.

وكانت تعلم أن رفضها الزواج من أنطونيو أقلق تيريزا وقد اتضح لها ذلك من تصرفات تيريزا في أثناء حفلة الصيد ولم تكن تيريزا بالسذاجة التي يوحي بها مظهرها لكن محاولتها هذه قد تزعج أحد الفريقين اللذين تحاول جمع شملهما.

لم تر جيني بديلاً من ترجلها والدخول إلى المنزل بعد أن قاست الأمرين للوصول إليه فتنهدت مستسلمة وترجلت من السيارة في الوقت الذي أطلت فيه مضيفتها. ودوت فرقعة مؤخرة حذائها على أرض الباحة الحجرية فهرعت مضيفتها باسطة ذراعها تأهيلاً:

«أهلاً بك يا خوانيتا».

ورمقت سيارة أنطونيو الضخمة البراقة أمام سيارة جينى الأصفر حجماً وابتسمت ابتسامة خجل وكأنها تعتذر وبسطت يديها بحركة عبرت عن الرضى والاعتذار فى آن واحد.

«أرى أن لديك زواراً غيرى».

قالت جينى ولم تستطع إخفاء ابتسامتها حين رأت علامات الريبة على ملامح تيريزا السمراء».

«هل كنت تعرفين أنه هنا يا تيريزا».

«أجل».

واعتذرت من جديد بحركة من كتفيها فيما راحت تقودها عبر الباحة. وقد وضعت يدها على ذراعها السليمة وكأنها تخشى أن أتعود جينى إدراجها ثم سألت جينى:

«تمانعين فى أن أدعوك لزيارتى بوجود أنطونيو؟ أليس كذلك؟».

وهزت جينى رأسها مذعنة وسألتها:

«ولماذا أمانع. فنحن نقطن منزلاً واحداً».

ثم ضحكت.

«آه. صحيح».

وعبرتا الباحة الظليلة التى ضاهى جمالها جمال باحة منزل آل فرنسيسكو بألوانها وعطر أشجار البرتقال وأزهار الورود، فى ظل أشجار النخل. ورطب خرير المياه فى حوض الرخام

المزخرف من حرارة الجو برغم أن الحرارة كانت قد خفت إلى درجة كبيرة فالساعة تخطت الخامسة بعد الظهر.

وأيقنت تيريزا أن جينى صفحت عنها لاخفائها خبر وجود أنطونيو فقادتها إلى داخل المنزل وصدمت جينى كعادتها فى أثناء زياراتها المنزل سنتا آنا لتأثير شخصية ربة المنزل على جو البيت.

لم يكن التيار الخارجى يختلف كثيراً عن منزل عمها لكن الجو الداخلى كان مختلفاً تماماً. وقد أضفى طبع تيريز اللطيف جواً ودوداً محبباً على منزل سانتا آنا.

كان النصب التقليدى يتصدر الممشى الواسع والبارد الجو لكنه كان أقل رهبة من التمثال الضخم المحاط بأزهار الورود والبرتقال الذى فى بيت عمها.

وقد تعلقت رسوم عدة تمثل معظمها أولئك الأطفال الداكنى العيون والكثيبى المظهر الذين طالما أحب الفنان موريلو رسمهم.

كان جو البيت ودوداً ومرحباً على غرار أصحابه وكانت جينى ترتاح دائماً فيه. سارت وراء تيريز ودخلتا القاعة الكبرى بجوها البارد وقد توقعت رؤية خوسيه غارسيا وأنطونيو لكن الغرفة كانت خالية ورمقت جينى تيريزا متسائلة. فأشارت تيريزا إلى كرسى وقالت مفسرة:

«ذهب طونيو وخوسيه لركوب الخيل».

وابتسمة ثم جلست على كرسى قريب من جينى حتى يتسنى

لهما التحدث بصوت هادىء.

«أظن أن أنطونيو فى صدد شراء بحيرة صغيرة».

وقالت جينى بصوت لم يخل من المعاتبة:

«كنت جاهلة تماماً وجوده هنا».

ورفعت تيريزا كتفيها بحركة تعبر عن أمور كثيرة.

«وهل كنت رفضت المجئ؟».

لم تحيها جينى. كانت تود إخبار تيريزا عن أسباب رفضها الزواج من أنطونيو لكنها كانت تدرك قوة العلاقة التى تربطها وزوجها بأنطونيو ولم تكن واثقة من أنهما لا يحبذان موقف أنطونيو ووالده من زواجهما. ونظرت إلى تيريزا تنتقى كلماتها بدقة وقالت بصوت هادئ:

«نعم كنت رفضت المجئ».

وأحست لتوها بالذنب حين رأت عينى تريزا تفضيان لوماً:

«لكن يا خوانيتا من المؤسف فعلاً أن تتغيبى لأن أنطونيو موجود هنا فيما هو...».

وحاولت العثور على الكلمات المناسبة وتمنت جينى لو علمت مسبقاً بوجود أنطونيو فى المنزل. وقد تراءى لها بوضوح مقدار الأوهام التى تتخبط فيها تيريزا فى نظرتها إلى العلاقة بينهما ولن يسهل عليها اقناعها بالعكس لكنها قررت المحاولة. فقالت لها:

«أخشى أن تكونى جاهلة الكثير عما يدور بينى وبين أنطونيو. وأعتقد أنه من المستحسن أن أخبرك الأمر يا تيريزا لتفادى الأخطار».

وقالت لها تيريزا مطمئنها وقد بدت قلقة تخشى أن تظنها جينى عديمة اللياقة.

«لكن يا خوانيتا لست فى صدد التدخل فى شؤونكما. أرجوك ألا تتصورى هذا. بل ظننت أن خلافك مع أنطونيو هو خلاف بين حبيبين. هل تفهمين؟ يحزننا هذا الأمر كثيراً، فأنطونيو صديقنا ويبدو تعساً جداً هذه الأيام».

«تعس؟ بالطبع لا يا تيريزا!».

«بلى. فالمسكين طونيو تعس جداً منذ رفضت الزواج منه ولم يعد كما كان وأظن أنه يتألم كثيراً...».

شعرت جينى أن من واجبها تصديق كلامها لكن غريزتها أوحت لها أن الرجال أمثال أنطونيو يتألمون لجرح فى عنفوانهم لا فى قلوبهم.

ولكنها أبت أن تبدى تعاطفاً معه كى لا تعطى صورة خاطئة عن شعورها. فهزت رأسها وابتسمت بمرارة.

لقد جرحت عنفوانه. هذا كل ما فى الأمر. أنت تجهلين القصة بكاملها يا تيريزا».

وقالت تيريزا بهدوء:

«أعرف أن طونيو يريد الزواج منك بكل قواه. وأننى متأكدة من هذا الأمر يا خوانيتا».

ووافقت خوانيتا لتوها قائلة:

«بالتأكيد: أو بالأحرى كان يريد. لكنه حاول اقناعى بالزواج منه لأسباب مخطئة ولم يكن فى وسعى أن أجاريه الرأى يا تيريزا».

«أسباب مخطئة؟».

وحدقت فيها باهتمام وفضول بالغين وتساءلت جينى .بما إذا كانت النساء متشابهات جميعهن فى ما يتعلق بمواقفهن حيال الآخرين وسألت تيريزا:

«هل تعلمين أن جدى. جدنا. قد ترك لى حصة فى مؤسسة فرنسيسكو وابنه؟».

وأومأت تيريزا إيجاباً ثم وافقت قائلة:

«أخبرنى طونيو. ولقد فوجئنا يا خوانيتا بالخبر».

وتكهنت جينى أنه لابد أن يكون قد عبر عن رأيه فى الموضوع بحرية أكبر أمام أصدقائه فباتوا يدركون مقدار مرارته وغضبه لفقدانه جزءاً مما أعتقد أنه ارثه الشرعى».

وقالت جينى:

«لا ألومه فعلاً على مرارته وغضبه».

وتساءلت وهى تتكلم إن كانت تيريزا ستنظر إلى قراره الناتج من الموقف هذا بالأسلوب ذاته الذى تنظر به هى إليه. ثم تابعت:

«لا أحب الحل الاعتباطى الذى أوجده من أجل استعادة ما يعتبره ملكاً له».

وانتبهت إلى أن تيريزا مرتبكة جداً إذ قالت:

«وكيف ذلك؟».

احتاجت جينى إلى ثوان عدة قبل أن تتمكن من حمل نفسها على أخبارها بافتقار أنطونيو الدوافع العاطفية للزواج منها. إذ كانت لاتزال تلقى صعوبة جمة فى مواجهة واقع الانفصال المريد. ولكنها تابعت بصوت هادئ:

«أخبرنى أنطونيو أنه ينوى الزواج منى فى اليوم الثانى لقدومى هل تفهمين يا تيريزا؟».

وتمهلت تيريزا قليلاً قبل أن تجيب ثم تكلمت وهى تنظر إلى يديها المتشابكتين:

«لابد أن فتاة مثلك يصدمها هذا الأمر أكثر منى أنا مثلاً».

كانت جينى قد توقعت سماع شئ كهذا فلم تفاجأ به لكنها هزت.

«لربما ظننت أنى انسانة متزمتة سخيفة أليس كذلك يا تيريزا؟».

ورفعت تيريزا عينيها أخيراً وابتسمت لها قائلة:

«لا أعرف ما معنى «متزمت» يا صديقتى. لكنى أعتقد أنك انزعجت لكون أنطونيو يريد الزواج منك كى يحصل على حصتك فى المؤسسة. وأنت تعتقدين أنه فعل ذلك عن غير حب».

«طبعاً عن غير حب».

صاحت جينى فى موقف الدفاع:

«وكيف تريدنى أن يحبنى ولم يعرفنى بعد إلا ليوم واحد وهو لم يسألنى حتى عن رأيى».

وسألتها تيريزا:

«لقد زرت آل فرنسيسكو من قبل أليس كذلك؟».

وأومأت جينى إيجاباً.

«أجل. أتيت لزيارتهم مرات عدة حين كنت طفلة لكنى لم آت منذ سبع سنوات. وكنت فى الرابعة عشرة من عمرى آنذاك».

«ولكن لابد أن طونيو كان عرفك من خلال تلك الزيارات».

وظنت جينى أنه لابد أن يكون قد عرفها تلميذة، لكن يستحيل أن يكون قد بنى رغبته فى الزواج منها الأعلى ركيزة الجشع والطموح. ووافقت حزينة على كلام تيريزا حين قالت:

«أجل لربما كان يعرفنى إلى حد ما لكن...».

سمعت هدير محرك سيارة وراء بوابة الباحة فتوقفت عن الكلام ونظرت وتيريزا إلى النافذة. وسمع وقع خطى الخادمة الخافت فى الممشى وما هى إلا ثوان قليلة حتى علا صوتان عكرا سكون الحديقة المشمسة وقالت تيريزا بصوت ناعم:

«إنها ماريا».

فنهضت وقد بدا القلق فى عينيها:

«كنت أجهل أنها قادمة يا خوانيتا. أقسم لك أننى كنت جاهلة قدومها».

«أنا متأكدة أنك كنت تجهلين قدومها».

قالت جينى وابتسمت ثم وضعت يداً مؤاسية على ذراعها:

«لربما قدمت لركوب الخيل برفقة أنطونيو وزوجك».

«إذن هى ليست محظوظة».

قالت تيريزا جملتها وكأنها سرت تماماً لهذه الفكرة ثم استدارت لترحب بذائرتها غير المرغوب فيها.

ودخلت ماريا الغرفة دخول المعتاد على المنزل وفوجئت جينى عندما رأتها مرتدية ثوباً رسمياً لابد أنها دفعت ثمنه ثروة فى أحد متاجر باريس ومن الواضح أنها لم تأت لركوب الخيل.

ورحبت ماريا بمضيفتها بسرعة ثم نظرت إلى جينى بطريقة لم تخف فيها استياءها لتواجدها فى هذا المكان اضافة إلى ارتيابها بدوافع جينى فى المجئ. ولم تمد لها يدها للمصافحة بل اكتفت بهز رأسها وألقت نظرة إزدراء على فستان جينى البسيط وشعرها الأحمر الذى بعثرته الريح.

وقالت بصوتها البارد والقاسى:

«لقد فهمت الان من صاحب السيارة الغريبة فى أظن أنى لم أعرفها».

وافترت شفتاها عن ابتسامة متوترة ثم تابعت:

«إذن قدت السيارة بنفسك إلى هنا؟».

كان التلميح هذا واضح المعالم وثارت غريزة جينى على إزدراء ماريا لها. لم تكن تعرف عن ماريا غازاريس إلا القليل لكنها أدركت من دون تردد أنها تكرهها بشدة. ولم يكن كرهها هذا متعلقاً بكونها تصلح زوجة رائعة لرجل كأنطونيو، لا، بل كانت تكره بكل بساطة، طريقة معاملة ماريا لها. وقالت جينى بهدوء:

«غادر أنطونيو المنزل قبل أن أقدر المجئ».

وأحست بفضول تيريزا لسماعها المزيد فتابعت:

«هذا الجو الحار يجعلنى أتكاسل وتجدر الإشارة إلى أن أنطونيو ليس أكثر الرجال صبراً».

وأيقنت فى قرارة نفسها أنه من السخف بمكان أن تستطرد فى هذا النوع من الجدل لكن شيئاً ما فى ماريا كان يحرك فيها أسوأ نزوات طبعها وتكهنت أن تيريزا لا تمانع فى أن تكذب جينى بعض الشئ.

ولم تكن تستهزئ ماريا كثيراً أو هكذا تراءى لجينى.

وقالت لها ماريا بصوت لم يخل من الاحتقار.

«لم أره فى حياتى نافد الصبر لربما لأننى لا أتصرف معه بطريقة تفقده صبره».

«معقول كلامك. أخشى أنى أفقده صوابه أحياناً. لكن أظن أنه لا يمانع».

وقهقهت جينى كالطفل وأحست بالخجل من تصرفاتها. لكن تيريزا وافقت جينى على كلامها قائلة:

«بالطبع لا، يا صديقتى».

ثم التفتت وابتسمت لماريا التى لم تكن مسرورة قط وقالت:

«هلا إجلس يا ماريا».

هزت ماريا رأسها بسرعة رافضة الدعوة ووقفت فى الباب وقالت:

«كنت أرجو أن أجد طونيو هنا. تعطل محرك سيارتى وكنت آمل أن يوصلنى إلى البيت».

آهاه. تأكدت جينى مما يجول فى ذهن ماريا. فهى عازمة على البقاء برفقة أنطونيو اليوم وأن لم تركب الخيل معه بل ستجعله يوصلها إلى البيت بسيارته. وابتسمت بمكر بعد أن أدركت أنها لن تستطيع مقاومة إغراء تحدى ماريا وكانت متأكدة من وقوف تيريزا. بجانبها فقالت مشيرة إلى ذراعها المضمدة:

«كنت آمل أن يوصلنى أنا إلى البيت. محرك سيارتى يعمل بصورة طبيعية لكن ذراعى تؤلمنى كثيراً ولا أظننى قادرة على تحمل تلك الطرقات الملتوية والقاسية».

كانت ذراعها حقاً تؤلمها ولم تكن ترغب فى القيادة عائدة إلى البيت لكنها كانت متأكدة أنها لو اضطرت لكان فى استطاعتها تحمل الطريق من دون أى شك. لكن كل ما فى الأمر ان شيئاً ما فى تصرفات ماريا كان يثير سخطها وقد اختلقت القصة هذه

لتوها ولم يعد فى وسعها التراجع عنها. ورأت ماريا تقطب حاجبيها وتقول:

«إن كنت حقاً عاجزة عن القيادة وذراعك مصابة فمن الأفضل لك ألا تقطعى هذه المسافة البعيدة».

وأومأت جينى إيجاباً ثم وافقت متهكمة:

«أظن أنك على حق».

وسألتها ماريا مجدداً:

«هل أنت عاجزة فعلاً عن القيادة؟».

ورفعت جينى كتفيها وقد وجدت أن هذه الحركة اللاتينية مفيدة للغاية متى كانت غير راغبة فى الاجابة.

وضعت تيريزا يداً على ذراعيها السليمة وقالت:

«لا يصح أبداً أن تحاولى القيادة: وأنا متأكدة أن طونيو سوف يغضب كثيراً إذا ما حاولت».

وأدركت جينى بمرارة أنه سيغضب فى الحالتين وبدأت تندم على اختلاقها القصة لادراكها أن ماريا غازاريس أحق منها فى نيل مساعدته الآن وسيعتبر طلبها من باب الازعاج وقد يرفض حتى أن يرافقها بل يدعوها إلى القيادة بنفسها بغض النظر عن آلام ذراعها لكنها لم تستطع تصوره مقدماً على شئ كهذا. وأياً تكن عيوبه فهو لم يتصرف معها بقساوة متعمدة قط بل كان مهتماً فعلاً بشفائها.

وهزت رأسها وتمنت لو استطاعت أن تتراجع عن القصة بكاملها، لم تتعود التصرف بخبث وكرهت نفسها لتصرفها وكأنها حبيبة تغار فى حين أنه لا يحق لها ذلك. وقالت:

«أعتقد أنه فى استطاعتى تدبير أمورى».

ورمقت ماريا بطرف عينها. فأجابتها ماريا بصوت قاسٍ:

«لا أشك فى كونك قادرة على العودة بمفردك».

لكن تيريزا كانت تنصت إلى الخارج ونهضت رامقة جينى بنظرة ظافرة وقالت:

«أظن أن خوسيه وطونيو قد عادا. وسنرى ما رأى طونيو بعودتك إلى المنزل بمفردك. يا صديقتى».

ورمقتها جينى متوسلة:

«تيريزا».

لكن تيريزا قاطعتها:

«سيغضب إذا قدت السيارة وذراعك هكذا. لكنه لن يتوقع منك أن تقودى السيارة عائدة إلى البيت يا خوانيتا. أنا متأكدة من ذلك».

وعبر الرجلان الباحة وهما يتحدثان وحين سمعت جينى صوت أنطونيو العميق الهادئ يتكلم بيسر وطلاقة أحست بخفقان قلبها يتسارع بجنون، كأن صوته جزء من جاذبيته وكانت اللغة الأسبانية تناسب رنين صوته العميق أكثر من الانكليزية. وقد أضفت عليه جزمته الطويلة وكذلك سرواله القصير طابعاً من

الرجولة التى غالباً ما كانت تهز مشاعرها كذلك قميصه الأبيض الملتصق بصدره العريض.

اجتاز خوسيه غارسيا الغرفة فى اتجاهين ورحب بضيفته فيما وقف أنطونيو فى الباب قرب ماريا لكنه راح ينظر إلى جينى مندهشاً لوجودها هنا. وقال لها بصوت هادئ:

«لم أنتبه إلى سيارتك».

وهزت رأسها:

«ظننت أن الوقت حان لاقود سيارتى بنفسى».

ثم ضحكت ضحكة مضطربة وقصيرة. ولم تكن متأكدة من نوايا تيريزا.

وسارعت تيريزا إلى التكلم بعد أن رمقت ماريا بنظرة ظافرة:

«كان من لأفضل لها ألا تقوم بعمل متهور كهذا إذ أن ذراعها تؤلمها الآن. يا طونيو».

«تؤلمها؟».

وتوجه أنطونيو نحو الكرسى حيث جلست فيما قطبت ماريا حاجبيها استياء. وسارعت جينى إلى طمئنته:

«لا داعى للقلق!».

لكنه وقف كالمارد يطل عليها حاجباً نور النوافذ خلفه ثم أمسك ذراعها المصابة بلطف ونظر إلى الضمادة مقطباً حاجبيه وسألها:

«هل تؤلمك ذراعك؟».

واضطربت أن تصارحه فأومأت إيجاباً. لكنه تابع:

«وعلى رغم كل هذا قدت السيارة كل هذه المسافة».

«لم أتصور أن ذراعى ستؤلمنى بهذا الشكل».

وكانت تشعر بالاضطراب الشديد لملامسة أنامله السمر القوية لذراعها. وذعرت لكثرة تجاولها الحسى معه. بدا وكأنه لم يلامسها منذ أشهر وكادت أن تنسى تأثير ملامسته.

نظر إليها محدقاً ثم هز رأسه وافتر ثغره عن ابتسامة طفيفة حين انحنى فى اتجاهها وقال بصوت رقيق:

«يا أيتها الحمقاء الصغيرة، ألن تتعلمى يوماً من أخطائك؟».

واعترضت على كلامه قائلة:

«لا أفهم قصدك، كان على أن أحاول. أليس كذلك؟ رغبت فى القدوم لزيارة تيريزا».

«كان من الأفضل لك لو جئت برفقتى».

ورفعت نظرها إليه محدداً لكنها أخفضته بسرعة حين رأت لطافة نظرته ونعومتها ولم تكن قد رأتها هكذا إلا مرة واحدة من قبل. وقالت له بصوت خافت:

«لم أكن على علم أنك قادم إلى هنا. لم أعلم أين كنت».

وأجابها بصوت رقيق:

«لو شئت معرفة مكانى لكان سهل عليك أن تجديه. يا صغيرتى.

لقد قطعت عهداً لك وسأتقيد به مادمت ترغبين فى ذلك لكن حالما تقدرين...».

ورفع كتفيه العريضتين ثم استقام وهو ممسك بذراعها المصابة بين أصابعه القوية واللطيفة وقال:

«سأوصلك إلى البيت».

ثم نظر إلى خوسيه غارسيا وسأله:

«هل تمانع فى بقاء سيارة جينى هنا يا صديقى؟».

ورفع خوسيه كتفيه وبسط ذراعيه مؤكداً عدم ممانعته ثم ابتسم لجينى وقال بصوت رقيق:

«حسناً يا آنستى».

ولم تحاول جينى فهم قصده لكنها أحست من جديد أنه يسئ فهم علاقتها بأنطونيو.

«طونيو».

والتفت أنطونيو ونظر إلى ماريا وكأنه يعتذر منها مبتسماً وتوجه نحوها وقد أدار ظهره لجينى كى لا يتسنى لها رؤية وجهه.

«ما بك يا ماريا؟».

ودارت عينا ماريا الداكنتان نحو جينى بسرعة قبل أن تتكلم.

وتكلمت بصوت ناعم ومقنع عن سيارتها متخلية تماماً عن

النبرة القاسية التى كانت استعملتها منذ بضع دقائق:

«لقد تعطل محرك سيارتى».

ووضعت يدها على ذراعه باسلوب امتلاكى واضح والتقت أناملها الرشيقة على البشرة السمراء وكأنها تستمتع بملامسته. وسالته وكأنها تحاول إظهار حقها فى امتلاكه:

«هل فى امكانك القاء نظرة عليه يا حبيبى؟».

بدا أنطونيو وكأنه انزعج من لفظه التحبب التى استعملها، إذ رأت جينى انكماش عضلات ظهره تحت القميص وأبعد ذراعه عنها بحركة ناعمة. وإن كان قد تقبل مطالبتها له بتفحص محرك سيارتها لكنه امتعض للفظة «حبيبى» وقد دهشت جينى لامتعاضه لاعتقادها أنه معتاد على سماعها منها، لكونهما عاشقين وأجابها أنطونيو بصوت بارد:

«لست ضليعاً فى ميكانيكا السيارات يا ماريا. فلن يجدى نفعاً تفحص لمحرك سيارتك لكنى متأكد أن خوسيه مستعد للطلب من ميكانيكى أن يأتى لاصلاح المحرك. ويمكننى إيصالك إلى المنزل إن شئت».

لم يكن عرضه مشجعاً للغاية وتأسفت جينى على ماريا وقد صدها أنطونيو بهذا الشكل. ومدت ماريا يديها من جديد وأمسكت بذراعه وغرزت أظافرها فى بشرته وكأنها تتصرف بيأس ثم قالت له بصوت رقيق لم يخل من العتاب وبعينين متوسلتين:

«طونيو يا حبيبى أرجوك لا تعاملنى بقساوة».

وحاولت جينى الا تسمع وألا ترى، لكنها شعرت أن تيريزا تتابع المشهد بفضول كبير. وأعلمتها غريزتها أن ماريا قد بالغت فى التمادى بدافع من حبها للامتلاك وخيم جو من السكون والجمود على الغرفة الواسعة إذ صمت الجميع لثوان عدة.

ثم فك أنطونيو بلطف قبضة الأصابع عن ذراعه وتكلم بصوت خافت جداً حتى يتحاشى إحراج ماريا إذا ما سمعت جينى كلماته.

وقال لها بصوت هادئ:

«إنى آسف يا ماريا. لقد أخطأت لتصرفك بهذا الشكل».

كانت ماريا قد ارتكبت فعلاً الخطأ ذاته الذى ارتكبه جينى حين اعتقدت أن شعور أنطونيو نحو ماريا أعمق مما هو عليه فى الحقيقة.

وما بدر منه تجاه ماريا لم يكن موده لطافة عاشق بل عن تعاطف مع صديق أساء فهم نواياه. وكأنه أحس بخيبة أمل طفيفة ورقيقة.

وراح قلب جينى يخفق بسرعة خانقة فيما نظرت إلى ظهره القوى وعضت فجأة على شفتها حين اجتاحت ذهنها مئات من الأفكار والتخيلات المذهلة، وبغض النظر عن بقية الشكوك التى راودتها تأكدت من أن أنطونيو ليس مغرماً بماريا غازاريس وقد اكتسب الأمر هذا أهمية كبرى فى نظر جينى.

لم تكن ملامح ماريا الداكنة جميلة بكل معنى الكلمة على رغم وسامتها الجذابة لكن التعبير الذى بان على وجهها حين أدركت

أنها كانت تسئ فهم علاقة أنطونيو بها جعلها تبدو قبيحة جداً.

ووقفت فى مكانها تواجهه ولم يكن بامكانها أن تتحاشى نظرته المتعاطفة معها وتشنجت يداها بقوة فيما أومضت عيناها سخطاً لشعورها بالاهانة. وأحست جينى بالشفقة إزاءها وقد حاول أنطونيو جاهداً ألا يخيب أملها لكن لابد أن تكون قد صدمت أعنف صدمة لكونها أهينت فى حضور جينى.

وقال أنطونيو بصوته الهادئ اللطيف بالانكليزية:

«يسرنى أن أوصلك إلى البيت، إن كنت راغبة فى ذلك».

وراقبت جينى ماريا بطرف عينها وكانت تحاول السيطرة على غضبها وقد رسمت موجات العواطف خطوطاً قاسية على وجهها. ثم تنهدت بعمق والتوى وجهها محاولاً الابتسامة وقالت بصوت بارد وقاس:

«لن أزعجك يا سيدى».

واستدارت على كعبيها شامخة الرأس مستقيمة الظهر باعتزاز وهمت بالخروج.

وأدركت تيريزا فجأة أن أحد ضيوفها على وشك الرحيل وتذكرت واجباتها كمضيفة، فلحقت بها إلى الممشى حيث وقفت واستدارت تتفحص جينى أولاً ثم خفضت عينيها لأنها لم تصادف فى حياتها مقداراً مماثلاً من الكراهية كالتى تكنها لها ماريا غازاريس فى هذه اللحظة ثم ارتعشت وكأن جو الغرفة تحول فجأة

إلى صقيع مفزع.

ودوى صوت ماريا القاسى مودعاً مضيفتها وزوجته متجاهلاً جينى وأنطونيو:

«إلى اللقاء تيريزا، إلى اللقاء سيد غارسيا».

«خوسيه».

التفتت تيريزا نحو زوجها وتذكرت جينى ادعاء ماريا أن سيارتها فى حاجة إلى إصلاح. ودنا خوسيه من ماريا لكن أنطونيو استوقفه مخاطباً أياه بسرعة وبالاسبانية من غير أن تفهم جينى ما قاله.

لم تمض برهة حتى سمع صوت محرك سيارة يمزق السكون. وأومأ خوسيه بعلامة تفهم. وقال بصوت ناعم:

«صحيح!».

ثم رفع كتفيه.

٩- منزل الصقر

استيقظت جينى فى الصباح التالى باكراً على غير عادتها وأحست بتململ لم تعهده من قبل. وعادت أحداث البارحة إلى ذاكرتها وبدت كأنها من نسج الخيال. بعد أن أنجزت ماريا غازاريس خروجها الغاضب والمسرحى ندر الكلام وانتهت زيارة جينى بوقت أقصر مما توقعت. وتكلم خوسيه غارسيا وأنطونيو عن البحيرة التى كان أنطونيو ينوى شراءها وأصغت إليهما تيريزا وجينى لم تفتحا حديثاً فى ما بينهما بيد أن سكوت جينى كان ملحوظاً وقد رمقتها تيريزا بنظرة أو نظرتين فضوليتين.

لقد التزمت جينى الصمت ذاته فى أثناء عودتها مع أنطونيو فى السيارة لكنه بدا غير متحمس للكلام هو أيضاً فتكهنت أنه حزين بعض الشئ لاسلوب انفصاله عن ماريا. وبعد التفكير اعتقدت جينى أنه كان فى وسع أنطونيو التخلى عنها باسلوب الطف وذلك بمجاراة رغبتها فى امتلاكه على الاقل حتى لحظة انفرادهما معاً لكن أسلوب أنطونيو فى التعامل كان مختلفاً. وقد أخبرها أبوه أنه رجل متهور سريع الانفعال وأراد تفادى أن تحصل أية اساءة فهم لعلاقته بماريا.

ورقدت جينى لبعض الوقت تشعر بالشفقة على ماريا فبرغم معاملتها لها كانت ماريا واثقة من أن أنطونيو يحبها وقد صدمتها الحقيقة بقدر ما صدمت جينى. أحست جينى أنها عاجزة عن الاسترخاء والتمتع بكسلها كمادتها بل عاودها شعور بالتململ والاثارة التى أفاقت بهما. وما كان منها إلا أن نهضت من السرير واستحمت ثم هبطت السلم. كان وقت الافطار لم يحن بعد وكان فى وسعها التنزه فى الباحة أو الجلوس فى ظل أزهار المانوليا. ورمقتها الخادمة ماتيلد بعينين حادتين وداكنتين فيما كانت تهبط السلم وتمتمت سلاماً ثم اختفت فى مضاجع المنزل الداخلية. كان واضحاً أنها لا تجد المستيقظيبن باكراً وتساءلت جينى فجأة إذا ما كان أنطونيو قد أفاق أيضاً. وقد اعتاد النهوض باكراً فى الأيام التى يمارس فيها الفروسية لكنه لربما لم يزعج نفسه اليوم بعد أن توقف عن رؤية ماريا.

وكانت متأكدة من أنه لن يركب الخيل مع ماريا لانها لن تصفح عنه حتماً بهذه السهولة بعد أن أوضح لها علنا أنه لا يشاركها الرأى فى علاقتهما. وقد عجزت جينى تماماً عن تفهم رد فعلها هى لانفصالهما. وما سبب سرورها هذا للفكرة أن ماريا خرجت نهائياً من حياة أنطونيو.

القت نظرة على القاعة الكبيرة ولم تجد أحداً فيها. ورفعت كتفيها ثم راحت تذرع البهو أمام غرفتها خطوات قلقة حيث اعتادت حضور دروس الاسبانية ولم تكن واثقة من نفسها إن كانت ترغب فى رؤيته أولاً. كانت مرتبكة جداً فى ما يتعلق بشعورها نحو أنطونيو فى هذا الصباح. وخيل إليها أنها سمعت حركة خافتة فى

المكتب وقفز قلبها فى صدرها حين تصورت أنطونيو خارجاً من الغرفة ليصادفها أمام الباب فاستدارت بسرعة وخرجت إلى الباحة. رائحة الأرض الدافئة والرطبة تعنى أن البستانى روى الحدائق المعطشى مستغلاً برودة الجو فى الصباح الباكر وتنشقت رائحة التراب المنعشة الذكية بلهفة. تعودت على الحدائق بقدر تعودها على غرفتها وسارت ببطء حول الباحة المسورة بجدران عالية تستمتع بالعطور والألوان، مسترسلة فى أفكارها.

توجهت نحو أزهار الماتوليا ذات العبير العابق ثم نحو أشجار النخل الظليلة التى تطاولت فوق البرتقال الذى فاحت منه روائح عطرة. فى هذا الوقت من السنة كانت أزهار الحديقة متفتحة وناضجة برمتها وقد نزلت رؤوس الورود المثقلة وتناثرت التويجات الحمر والبيض والصفر على أرض الباحة. كان المنظر رائع الجمال وكأنه من نسج الخيال وأحست أنها تحبه كما أحبه جدها.

ووقفت تفكر بعدها فى ظل شجرة ورد حمراء قانية شبيهة بتلك التى تكسو شرفتها. وكسرت عنق إحدى الورود العابقة. بحركة لا شعورية وراحت تفركها بين أناملها لبعض الوقت محاولة تذكر الظروف التى رأت فيها شخصاً يعامل الوردة بالطريقة ذاتها. ثم تذكرت وهزت برأسها مبتسمة حين عادت إلى أذهانها صورة الوردة المقطوعة الرأس التى وضعها أنطونيو فى جيبه.

«جينى».

فوجئت بسماع صوته فى اللحظة التى كانت فيها تفكر فيه فالتفتت بسرعة والوردة بين يديها وقد اتسعت عيناها دهشة. وراح

قلبها يخفق بسرعة جنونية وحدقت فيه لبعض الوقت وكأنها غير مصدقة أنه أمامها.

«هل روعتك؟».

وقف قريباً منها وقد اسند يداً إلى أحد أعمدة الشرفة، وكان قريباً منها حتى أنها اصطدمت به حين التفت ومد يده يساعدها على استعادة توازنها. ونظر إليها بعينين سوداوين فيهما مسحة لطيفة من المكر وأشاحت النظر سريعاً بعيداً، وقد ارتابت لهياج أحاسيسها أثر ملامسته لها. وقالت له وقد ذعرت لتسارع لهاثها:

«لا. لم أرك قادماً. صباح الخير يا أنطونيو».

أبقى يده على خصرها وحاولت ألا تلاحظ دفء راحة يده عبر قماش ثوبها الرقيق.

وقال لها:

«لقد أفقت باكراً جداً هذا الصباح».

وأومأت إيجاباً متسائلة عن رد فعله أن هي قررت الابتعاد عن لمسته المثيرة لأحاسيسها.

«شعرت بالتململ. ولم أستطع المكوث فى الداخل مدة أطول فنهضت».

وضحكة ضحكة قصيرة وحاولت العودة إلى الواقع:

«لا أظن أن ماتيلد تحبذ هذه الفكرة أبداً».

وسألها:

«ولماذا لم تدخلى الغرفة وتسلمى على عوضاً من التودد؟».

ثم ضحك بصوت رقيق حين رأى التعجب على وجهها وقال:

«سمعتك تسيرين فى الممشى وتوقعت أن تدخلى ولكن...».

ورفع كتفيه.

«لم أعرف أنك فى الغرفة».

وقالت وتمنت لو لم تكن مضطربة إلى هذا الحد. ولاحظت أنه لم يكن مرتدياً ثياب الفروسية بل كان يرتدى سروالاً أزرق داكناً والقميص الأبيض التقليدى. وتعرفت إلى عطر مثير للاحساس فاح منه وأدركت أنه من نوع شائع من عطر ما بعد الحلاقة، حاد الرائحة وأحست بأنه كان يطغى على عطر أزهار الورود والمانوليا. وشعرت بين ذراعيه براحة واطمئنان لم تعهدهما من قبل وقد وقفت قريبة منه إلى حد كانت تحس فيه بكل جسمه. واستغربت عدم مقاومتها لجاذبيته اليوم ومدى رغبتها فى السماح له بمعانقتها بهذا الشكل ووضع يده الثانية تحت ذقنها ورفعها حتى واجهته وقال لها بصوت هادئ:

«لم تعرفى أنى كنت فى الغرفة. ظننت أنك امتنعت عن الدخول لعلمك بأنى فى الداخل أيتها الصغيرة. أننى سعيد أن أكون قد أخطأت».

«أنطونيو».

وأحنى رأسه بسرعة نحوها ومن دون انذار مسبق عانقها لوقت طويل حتى انقطعت أنفاسها ثم أفلتها وأحست بنفسه الدافئ حين تكلم مصححاً كلامها:

«طونيو. لقد طلبت منك مرات عدة أن تسمينى طونيو يا خوانيتا. ألن تحاولى ارضائى أبداً؟».

أحست جينى بدوار ينتابها وأبقت عينيها مغمضتين فيما حاولت السيطرة على الموقف الذى أدركت أنه يفلت منها شيئاً فشيئاً ودهشت لمقدار تجاوبها مع كل لمسة من لمساته هذا الصباح.

فى الأيام القليلة المنصرمة وبعد أن أعلن نية التوقف عن مطالبتها بالزواج منه وراحت تشعر بفراغ عدم اهتمامه المتواصل بها وإذا هو الآن يثير عواطفها بلطافة متناهية وأدركت أنها تتوق إلى أن يعطيها أكثر وأكثر من ذاته. كانت متلهفة لارضائه وذلك للمرة الأولى منذ وصولها. وقالت مذعنة:

«طونيو».

ثم خفضت عينيها ونظرت إلى الوردة التى احتفظت بها بين يديها وقد بدأت تذبل لشدة الحرارة. وبدا لها فجأة أنه ينبغى عليها أن تخبره عن لعبتها البارحة وأنها كانت قادرة على القيادة وقد اختلقت القصة لا شعورياً. كان قد أدرك لعبة ماريا غازاريس حول العطل فى سيارتها وتعجبت كيف أنه لم يكتشف لعبتها.

واستصعبت التكلم عن ماريا خوفاً من أن يعتبر كلامها مؤذياً لها... وفى مثل هذه الظروف لا يصح التكلم عن ماريا بسوء فهو وإن لم يكن مغرماً بها لابد أنه يكن لها مودة كبيرة لكونها صديقة قديمة له. وقد يستاء منها إذا تطرقت إلى موضوع ماريا وكانت ترغب فى تفادى إثارة غضبه بأى ثمن هذا الصباح.

ولم تنبس بكلمة لثوان عدة ثم عقدت العزم ونظرت إلى الوردة الذابلة بين أصابعها وقالت له:

«أريد أن أعترف لك بأمر مهم».

وحاولت جاهدة إيجاد كلمات أخرى للتعبير عن خوالجها بأسلوب أقل مأساوية لكنها لم تفلح. وراح ينظر إليها من دون أن يقطب حاجبيه بريبة كما توقعت أن يفعل بل ابتسم ابتسامة لم تخل من المكر ورفع حاجبه بفضول وسألها بلطف:

«ماذا يا يمامتى؟».

وأدركت أن لفظة التحبب هذه تستعمل عادة بين العشاق لكنها لم تعترض عليها بل بلعت ريقها بقوة للسيطرة على الدوار الذى اجتاحها وابتدأت تقول:

«بالامس، عندما... عندما قالت تيريزا أنى عاجزة عن القيادة...».

وقاطعها مصححاً كلامها بصوت رقيق:

«قالت تيريزا أن ذراعك تؤلمك وأنا الذى قررت أنك عاجزة عن القيادة».

ونظرت إليه فى ارتباك للحظة ثم أدركت أنه على حق:

«أجل... أجل صحيح ما تقول لكن قبل ذلك...».

وتوقفت تتساءل هل يتوجب عليها المتابعة وأدركت أنها لا تستطيع التراجع بعد أن بلغت هذا الحد.

وتكهن بصوت هادئ:

«قلت لماريا أنك عاجزة عن القيادة. لقد تكهنت أن شيئاً كهذا قد حصل بينكما. إذ ليس من عادات ماريا أن تتصرف بهذا الأسلوب فى حضرة الناس. أو أن تدعى هذا الادعاء الكاذب عن تعطل سيارتها».

وضحك بمكر ثم هز رأسه. وأدركت جينى لتوها أن ذراعه قد شدتها نحوه أكثر فأكثر إذ أحست بصدى ضحكته يهزها.

«كنت عالماً بالأمر».

وكان واضحاً من الطريقة التى تصرف بها خوسيه غارسيا أنه عالم بالأمر لكنها لم تتوقع أن يعترف بهذه السهولة.

«طبعاً كنت عالماً بالأمر يا حبيبتى. ماريا لا تحسن التمثيل».

ورفع ذقنها من جديد وطاف بنظره الحاد على قسمات ثغرها مما جعل قلبها يخفق بسرعة جنونية ثم تابع:

«أما أنت يا حبيبتى الغالية. فأظن أنك بارعة فى اخفاء شعورك الحقيقى. أليس كذلك؟».

وفضلت جينى ألا تجيب عن سؤاله فى هذه اللحظة. وكانت مضطربة إلى حد كبير فلاقت صعوبة جمة فى التفكير السليم وقالت:

«لقد قسوت على الآنسة غازاريس المسكينة».

وحاولت ترطيب شفتيها اللتين ازداد جفافهما حين شعرت بازدياد طفيف فى قبضة ذراعيه حولها.

«وماذا بعد؟».

ولم ترشدها هذه الكلمة إلى رأيه فى انتقادها له ورمقت ملامحه الصقرية القاسية التى كانت فى ظل الشرفة فوقهما وبدت داكنة وبدائية جداً وكأنها صدى لأجداده العرب وأثارت احساسها حتى انقطعت أنفاسها وقالت:

«ظننت أنك مغرم بها».

وتعجبت لتجرؤها على البوح له بهذا الأمر وخشيت أن تثير استياءه.

وشددت ذراعاه التفافهما حولها وحبست أنفاسها حين

التصق وجهها بصدره العريض والدافئ. أغمضت جينى عينيها ثم فتحتهما من جديد حين سمعته يقول:

«لم أقل شيئاً عن مدى علاقتى بماريا أنت قررت عنى يا أيتها الحمقاء الصغيرة».

«ولكن...».

ومالت برأسها إلى الوراء فانقض شعرها الأحمر عن وجهها واتسعت عيناها الخضراوان فضولاً وبرقتا من الإثارة وقالت له:

«لقد أخبرتنى فى أثناء كلامك عن الزواج بأنه لا مانع لديك فى أن ترمى عصفورين بحجر واحد».

وبرقت عيناه حين نظر إليها فارتعشت. وتنهد واكفهر وجهه وقال:

«كنت أتمنى لو استطعت رمى عصفورين بحجر واحد. لكنك رفضتنى يا جينى أليس كذلك؟».

وصمتت جينى لوهلة لكن مئات الأسباب راحت تجول فى ذهنها تتصحها بالابتعاد عنه ورفعت عينيها تنظر إليه فوجدت صعوبة أكبر فى متابعة الكلام. وقالت له بصوت خافت:

«لم أر طريقة أخرى تستطيع من خلالها الحصول على ما تريد وعلى الفتاة التى تحبها. كنت تريد الزواج منى من أجل حصتى فى المؤسسة».

وأجابها بصوت رقيق:

«كانت هناك أسباب ثلاثة وراء رغبتى فى الزواج منك».

وراح يعدد الأسباب الواحد تلو الآخر ويعانقها كلما أورد سبباً:

«كنت مهتماً بادئ الأمر بحصتك فى مؤسسة فرنسيسكو وابنه ثم كانت هناك مشيئة جدى وأخيراً يا أيتها الحمقاء الحبيبة لأنك كنت ذات صباح واقفة على شرفة غرفتك وكنت راحلاً لركوب الخيل.

وحين التفت كى أقفل البوابة رأيتك فى إطار النافذة بجمالك الرائع ونعومتك ولطافتك وأدركت أنى مغرم بك».

ونظرت إليه جينى مدهوشة لكنها غير مفاجأة كثيراً بما قاله لأنها وتنبهت فى ذاك الوقت إلى المناسبات العديدة التى كان فى إمكانها أن تلمس حقيقة شعوره نحوها لكان سهلاً عليها أن تعرف. كذاك الصباح الذى يتكلم عنه حين أحست أنه سعيد ومتيم على غير عادته لما ابتسم لها وناداها.

ثم فكرت فى المناسبات التى كان فى امكانه أن يستغلها للبوح لها بحقيقة شعوره وهزت رأسها. ثم همست لاهثة.

«لكنك لم تخبرنى عن حبك لى».

وهز رأسه رافعاً حاجبيه بارتياب ثم سألها برقة:

«وهل كنت صدقت كلامى يا حبيبتى؟».

وهزت جينى رأسها نفياً فتابع:

«كنت ميالة أكثر إلى التصديق أنى أريد الزواج منك من أجل حصتك فقط. أليس كذلك؟».

وصمتت جينى لبعض الوقت وقد رقدت أناملها لا شعورياً عند فتحة قميصه وراحت ترسم خطوط القبعة على بشرته الذهبية لا شعورياً.

وقالت أخيراً بصوت خافت:

«لربما مازلت تخادعني إلى الآن».

وفوجئت به يعانقها بقوة وحاولت غريزياً مقاومته لبضع ثوان ثم استلمت، وأحست بقوة ذراعيها تشدها نحوه حتى خيل إليها أنه سيسحقها. ورفعت ذراعيها ولفتها حول عنقه موقعة الوردة الحمراء على الأرض. وسألها بصوت عميق متلهف ارتعشت له:

«أما زلت تعتقدين أني مهتم بك من أجل حصتك فقط؟».

«طوني...».

وضحك ضحكة ظافرة وشدها نحوه فالتصق وجهها مجدداً بصدره المذهب العريض. وأغمضت عينيها تعانقه كما عانقته على صهوة الجواد وسمعته يقول لها:

«أعيدي لفظ اسمي يا حياتي. هذه المرة الأولى تلفظين فيها اسمي بملء ارادتك. أعيدي».

«طونيو... طونيو».

وغرق وجهها في صدره ثم نظرت إليه مجدداً بعينين براقتين وشعرت بدوار رهيب وكأنها تعيش حلماً لا واقعاً. وتفحصت عيناها ملامحه الصقرية الداكنة تتوقف بحب عند كل منها. ثم ضحكت برقة وأحنت رأسها إلى الوراء فتساقط شعرها الأحمر على كتفيها.

وقالت لاهثة.

«قلت أني أكرهك كرهاً عظيماً. ولمَ أدرك أني أحبك حباً أعظم».

وسألها بصوت رقيق:

«ألم أخبرك بهذا يا حبيبتى. ألم أخبرك مرات عديدة بأنك لا تكرهيننى».

وعند سماعها كلمة كره عادت إلى ذاكرتها دونا صوفيا وكرهها لها فخفضت رأسها من جديد ترسم خطوطاً وهمية على بشرة صدره العريض وقالت:

«لا أظن أن عمتى صوفيا ستسعد بى... بنا».

ورفع أنطونيو ذقنها وأجبرها على النظر إليه وقد امتلأت عيناها بريقاً دافئاً مطمئناً بعث الاحمرار إلى خديها وقال لها برقة:

«لن تزعجك أمى يا حبيبتى. فلن نسكن فى البيت هذا ولن تضطرى إلى تمضية الوقت برفقتها. أنى أدرك أن هذا لن يسعدك».

«ولكن طونيو...».

ووضع اصبعه على شفتيها ثم ابتسم ورفع حاجبيه بمكر وقال لها:

«من بين الصفات القبيحة التى نعتنى بها يا حبيبتى أنك قلت لى ذات مرة أننى أشبه طائراً مفترساً ينتظر لحظة الانقضاض عليك. أليس كذلك؟».

وضحكت جينى بطلاقة وأومأت برأسها:

«أجل قلت لك ذلك حين كنت تحاول تعليمى الأسبانية».

«وستتابعين تعلمها. لكنى تذكرت ملاحظتك هذه فى أثناء بحثى عن منزل نقطنه يا خوانيتا».

وحدقت فيه جينى لبعض الوقت وسألته:

«لقد اشتريت منزلاً؟».

وتصورت رد فعلها لو كان أخبرها بهذا الشئ قبل بضعة أيام:

«لكنك لم تكن تعرف أنى...».

وعانقها مطولاً وبقوة ثم ابتسم وبرقت عيناه.

«طبعاً. كنت أعرف. الم أعرف طوال الوقت يا حبيبتى».

وأومأت جينى موافقة وعانقها مدركاً أنها لا تستطيع الاجابة ثم تابع:

«هذا المنزل الريفى. اننى متأكد أنه سينال موافقتك. فهو يقع بالقرب من سنتران وسيسرك ذلك».

وضحك برقة وعانقها وتابع بالأسبانية:

«وسيسرك أيضاً متى علمت أن أسمه يليق بطائر مفترس يطوى جناحيه يا صغيرتى واسمه «منزل الصقر».

ورددت جينى وراءه بالانكليزية:

«منزل الصقر».

ونظر إليها بعينى براقتين:

«سوف أحبه يا طونيو. اننى متأكدة أننى سوف أحبه».

وسألها أنطونيو برقة:

«كما تحبيننى؟».

وأومأت برأسها فيما رفعت ثغرها نحوه وهمست:

«كما أحبك».